



ترجمة فاضل لقمان

الجزء الاول

١٩١٦-١٩٢٧




ناظم حكمت
الأعمال الشعرية الكاملة

كلمة ناظم حكمت

إن كاتب هذا الكتاب شاعر تركي يعتز بأنه اعطى قلبه وعقله وقلمه ، وعمره كله ، لشعبه . ومن جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب ، مهما كان اسمها وموقعها الجغرافي وقوميتها وعرقها ، في سبيل الاستقلال القومي والعدالة الاجتماعية والسلم ، وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو ، وهزائمها هزائم له ، كما اعتبر أفراحها وأتراحها أفراحاً وأتراحاً لشعبه بالذات ، ففي هذا الكتاب أصداء لهذه الاتراح ، لهذه الأفراح ، ولهذه الهزائم ، والانتصارات .

وهذا الكتاب ، من جهة ثانية ، يضم قصة الأحداث التي مرت بانسان فرد : بما فيها أهواؤه وحسراته ومواقفه العملية التي اتخذها ازاء الموت ، ومخاوفه ، وأمراضه ، وآماله ، واسباب اعتزازه ، ومعتقداته .

وفي هذا الكتاب أيضاً ، أيها القراء الأعزاء ، يحسب حساب الجهد الذي بذلته من أجل نحت الآلة التي استخدمها ، من أجل أن استطيع توظيف افضل وأنقى الاصوات عند انشادي للأغاني التي أردت أن أنشدها .

إن جذور شعري تضرب عميقاً في تراب وطني . غير أنني أردت أن استطيل بأغصانه الى كل الأراضي ، تلك الأراضي الواسعة دون حدود في الشرق والغرب في الشمال والجنوب ، الى الحضارات التي شيدت فوق هذه الأراضي ، الى عالمنا الكبير ، واذا قام ابن آدم ، مهما كان مكانه وزمانه ولغته ، بقول شعر خفق له قلبي واستجاب له عقلي ، فإنني أبذل كل جهدي لدراسة المهارة التي قيل بها ، ولتعلم بعض الأشياء منه . وقد اعتبرت اساتذة لي ليس فقط معلمي الأدب في أدبنا نحن ، بل ومعلمي الأدب في كل الآداب الاخرى .

ناظم حكمت

مقدمة :
فن ناظم حكمت

غرفة ناظم حكمت ، على الجدران : لوحة « المسيرة » لعابدين دنيو ، صورة استانبول بالألوان ، و« خيول » عوني ، وهدية الطلائع البلغار : بساط حياكة يد مزركش ، وفي البساط صورة لناظم ، جميلة جداً وكبيرة جداً وأكثر صوره شبهاً له .

على طاولة ناظم : وبآلة الكتابة العائدة لناظم اكتب مقدمة لكتاب ناظم ، وأجري التصحيحات بقلم أهداني اياه ناظم .

سبق لناظم أن كتب عن الشاعر الروسي الكبير بوشكين : « لقد شاهدت بوشكين في السينما وفي المسرح ، وقرأت كتبا وسيراً كتبت عن بوشكين وفي كل مرة كان قلبي يقفز الى فمي مرتجفاً خوفاً من انه سيعرض نفسه للقتل ، وفي كل مرة احسست بحزن عميق عميق لأن بوشكين مات » .

قضيت ثلاث عشرة سنة من الصداقة الحميمة مع ناظم ، وأصغيت الى جميع الأشعار التي كتبها تقريباً منه هو ، وكنت أول قراء الأشعار التي كتبها في موسكو : فقد استقبلته يوم التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٥١ في مطار « فونوكوفو » مطار موسكو وودعته يوم الثالث من حزيران عام ١٩٦٣ في مقبرة « نوفو دفيتشيه » بموسكو .

وعندما أكتب الآن هذه المقدمة تتجسد أمامي تلك السنوات الثلاث عشرة ويرتجف قلبي **فرقاً** كلما أقتربت من الثالث من حزيران ١٩٦٣ : إن ناظم سيرحل ! واحس بحزن عميق عميق (« رحل ناظم من هذا العالم » هذا هو العنوان الجميل الذي اعطاه فالا نور الدين صديق طفولة ناظم للكتاب الذي كتبه عن ناظم) .

كثيرة هي الكتابات التي صدرت عن ناظم ، وسيصدر غيرها ايضاً . وثم نشر الكثير من الأعمال النقدية حول فنه ، وسينشر غيرها أيضاً . ولكن هناك شيئاً أهم من هذه وتلك ألا وهو : حديث ناظم نفسه عن فنه هو .

لم يكن ناظم ميالاً الى الحديث عن فنه . وكنا نحن نجبره على كتابة المقدمات لمؤلفاته . وذات مرة كتب المقدمة التالية :

« في طفولتي كانوا يعاقبونني ، عندما كنت أخطىء في الاملاء باجباري على كتابة الكلمات التي اخطيء في كتابتها بالشكل الصحيح ، عشرين أو خمس وعشرين مرة على الأقل . أما الآن فأثقل عقوبة أتعرض لها هي كتابة المقدمات لكتبي المعدة للطبع . فالكتاب بين الأيدي وأنا أثق بعقل القارىء وذوقه . وإلا فما الذي جعلني أنشر كتابي وأوصله إليه ؟ ! إذا كان الأمر كذلك فما هو الداعي للمقدمة ، وخاصة إذا كنت أنا من سيكتبها ؟ وما معنى أن اقول إنني أفهم الفن بهذا الشكل ، أو أفهمه بشكل آخر ؟ فإذا كانت نظرتي إلى الفن ، وكيف

تطورت هذه النظرة ، وما هي المراحل التي مرت بها خلال تطورها ، بالنسبة للقارىء وخاصة إذا كان المقروء كتاباً يتضمن المختارات كالذي أقدمه الآن ، أقول إذا كان كل ذلك لا يتضح من خلال قراءة الكتاب نفسه ، فان كل جهد سأبذله سيكون عديم الفائدة ، ولكنني ها أنا أكتب المقدمة صارفاً النظر عن كل الكلام الذي قلته . إنني اقضم شفتي ، وتتجعد بشرة جبهتي ، أنهض ثم أجلس لأعاود النهوض ثانية ، غير أنني مع ذلك أكتب . لماذا ؟ وما الداعي ؟ ذلك لأنني أردت أن أبين انني لم استطع أن افعل ما كنت أريده على الدوام ، ومدى ما تحقق أقل بكثير مما كنت اطمح اليه ، أي أنني سأفصح عن نظرتي إلى الفن ، وعما كنت أريد أن أفعله ، اي سأخبر القارىء عن توقي وطموحي . أما هو ـ القارىء ـ فسينظر إلى ما بنيته ، وسيقرأ ما استطعت انجازه ، ليبدأ القياس والتقييم ، وسيرى مدى التطابق أو الاختلاف . ولا شك أن هناك فرقاً بين ما أنجزته وبين ما كنت اطمح إلى انجازه . فطموحاتنا اكثر تقدماً وأكبر بما لا يقاس مما استطعنا تحقيقه . هناك فرق ، مجرد فرق ، ولا وجود للتناقض . فأنا لم اكتب سطراً واحداً يتناقض مع نظرتي إلى الفن ، وعملت كل جهدي حتى لا أكتب شيئاً من هذا القبيل » .

وفيما بعد كتب ناظم عدداً من المقدمات المماثلة لهذه المقدمة ، غير أنه لم يكن يكتب ، أو لم يكن يريد أن يكتب ذلك الذي أردت أن يكتبه أي المقال الذي يتحدث فيه عن فنه هو . والسبب هو هو في كل مرة .

ذات يوم وردت رسالة من احدى دور النشر الايطالية التي كانت تنشر مؤلفات ناظم . وصاحب دار النشر يقول في رسالته انه عازم على نشر جميع مؤلفات ناظم ، كل ما كتبه حتى الآن ، مهما بلغ عدد المجلدآت ، ثم يطلب من ناظم مقالاً يتحدث فيه عن مفهومه للفن . وحتى أكون صريحاً معكم أقول : إن هذه الدار هي أفضل دور النشر التي اخرجت مؤلفات ناظم بأحسن شكل ، حتى أنها في احدى المرات طبعت « مشاهد انسانية من بلادي » باللغتين التركية والايطالية ، صفحة باحدى اللغتين مقابلها الصفحة ذاتها باللغة الثانية . وكان ناظم كثير التقدير والاحترام هذه الدار ، فوافق على اقتراحها مسروراً .

بدأنا بتجميع المؤلفات ، غير أن العمل توقف في منتصف الطريق . فقد ذهب ناظم الى طنجنيقا . وإلى برلين في طريق العودة ، ومن ثم بعد وقت قصير . . . ٣ حزيران ١٩٦٣ .

قبل سفره إلى طنجنيقا اتفقنا على ما يلي : سأقوم أنا بـ « تصوير - مونتاج » جميع المؤلفات التي كتبها ناظم في مختلف الأوقات اضافة إلى المخطوطات الموجودة عندي ، أما ناظم فيسطلع عليها لدى عودته ، ليعمل على اخراج ما يحتاج إلى اخراج جديد ، وليقيم « جسوراً » بين تلك المخطوطات .

أنجزت العمل الموكل إلي وألقى ناظم نظرة على المونتاج واعجب به ، وتحدثنا عن « الجسور » واتفقنا على أنه سيقوم ببنائها بعد يومين . . .

إن المقال المثبت هنا هو ذلك « المونتاج » ، وهو بدون جسور مع الأسف . . حاولت أن اقيم الجسور بنفسي مستذكراً ما كان ناظم يريد أن يفعله .

لكن الاملاء هو املاء ناظم ، لم اجر عليه اي تغير .

* * *

« لماذا أكتب الشعر ؟ قد يكون من الأصح طرح هذا السؤال على الشكل التالي : لماذا وكيف بدأت بكتابة الشعر ؟ »

لأحاول أن اتذكر !

كنت في الثالثة عشرة من عمري . وكنا في استانبول . وكان جدي شاعراً ، ولكنني لا أفهم أشعاره حتى الآن ، فقد كان يستخدم لغة تركية نسبة الكلمات العربية والفارسية فيها تصل الى ٧٥٪ ، وبالانسجام مع قواعد اللغتين الفارسية والعربية . كانت تلك قصائد دينية دوغمائية وتعليمية . ولم أكن افهمها . ومع ذلك فقد كنت حفيداً لجد شاعر . وكانت أمي مولعة جداً بـ « لامارتين » وتقرؤه بالفرنسية . وذات مرة ترجم « لامارتين » هذا إلى التركية ، وعدد من قصائده كانت باللغة العثمانية ، وكانت أمي تتقن الفرنسية اتقاناً تاماً غير أنها لم تكن تعرف اللغة العثمانية ، مثلي أنا .

كان جدي ناظم باشا المولوي شاعراً ، وكانت أمي مولعة كثيراً بـ « لامارتين » فالشعر في منزلنا كان ، بصرف النظر عن عزوف أبي عن الأدب ، يحتل مكان الصدارة .

في البيت المقابل لبيتنا شب حريق ، وشاهدت الحريق للمرة

الاولى ، دهشت وخفت . ورفع جدي القرآن عبر النافذة في وجه السنة اللهب حتى لا ينتقل الحريق إلى بيتنا . وانطفأ الحريق ، لا بقوة القرآن ولا بقوة فرق الاطفاء ، ولكن بعد أن احال البيت الذي احرقه إلى رماد حيث انطفأ اذ ذاك تلقائياً وأنا كتبت بعد ساعة أول أشعاري ، قصيدتي : الحريق . وكان وزنها مطابقاً للأصوات الباقية في اذني من قراءة جدي لاشعاره الموزونة بصوت مرتفع . كانت القصيدة نوعاً من النظم الذي لم أعرف لا عروضه ولا قافيته ، وهل كانت شعراً حراً أم لا . ولغتها كانت كذلك تقليداً للعثمانية ، أما موضوعها فكان ما يلي :

تحترق تحترق
المباني بصورة مثيرة
وتجذب النار إلى أسرها الحمسات
من الحانات ، من الفقراء ، من الايتام . . .

والآن ، وأنا أكتب ما كتبت تنبهت لشيء هو أنني كنت متأثراً بالأدبيات الجديدة ، بفكرت مثلاً ، أكثر بكثير من جدي . لماذا ؟ لست أعرف . ربما بسبب ابي الذي قرأ ، وإن لم يكن يحب الشعر اطلاقاً ، توفيق فكرت ـ هو الآخر كان يكتب بلغة أقرب إلى العثمانية ـ مرتين بصوت مرتفع على سمعي ؟ ربما !

قصيدتي الثانية كتبتها وأنا في الرابعة عشرة من عمري على ما أظن . كنا في وسط الحرب العالمية الاولى . واستشهد خالي في

جنه قلعة . وكنت أنا وطنياً متحمساً جداً . فكتبت قصيدة عن الحرب ، كانت رائعة ، أذكر ذلك ، وأعرف أنها لم تكن مكتوبة باللغة العثمانية ، بل بالتركية ذات الكلمات العربية والفارسية القليلة مثل تركية الشاعر محمد أمين الذي كنا نقرؤه كثيراً في المدرسة ، ولكنني لا أذكر ولو سطراً واحداً منها .

وبعد ذلك كتبت قصيدتي الثالثة وانا في السادسة عشرة من عمري على الأغلب . لقد كان شاعر تركي كبير ، هو يحيى كمال الذي أبدع لغة شعرية جديدة ومفهوماً جديداً للشعر في الشعر التركي في تلك الفترة ، واقعاً في غرام أمي ، على ما أعتقد ، وكانت أمي تقرأ اشعاره في البيت ، وهذا الشاعر كان استاذي في مادة التاريخ بالمدرسة البحرية . وما كتبته كان حول قطة اختي . وعرضته على يحيى كمال الذي طلب أن يرى القطه الموصوفة في شعري ، ولكن الشاعر لم يجد أي شبه بين القطة الحقيقية وتلك الموصوفة في شعري حتى قال لي : انك تجيد تجميل هذه القطة القذرة إلى هذه الدرجة . وهذا دليل على انك ستصبح شاعراً .

في السابعة عشرة على ما أذكر نشرت أولى قصائدي . وهي قصيدة « عند أشجار السرو » التي كانت حول الموتى الذين احبوا في حياتهم ويبكون في القبور . وقد تولى يحيى كمال تصحيح العديد من الفاظها .

وبعد ذلك صرت مولعاً بالبنات ، وكتبت الشعر ، ثم جاءت دول الوفاق واحتلت استنابول ، فكتبت قصائد ضد الاحتلال

ومع حرب الأناضول . وتساءلت عن ماهية الوجدان والشرف وما إليهما وكتبت الشعر . أما الآن فقد اصبحت لغتي نظيفة وتعلمت الكتابة حسب التفعيلة والوزن والقافية الصحيحة .

وعبرت إلى الأناضول ، حيث كانت الأمة بخيولها الهزيلة وبأسلحتها المتبقية من زمن نوح : بجوعها وبقملها ، كانت بكل ذلك تقاتل ضد الجيوش اليونانية . فاكتشفت الأمة وحربها ، ذهلت ، خفت ، احببت ، وأصبت بالدوار فأحسست بضرورة كتابة كل ذلك بصورة مختلفة ، ولكنني لم أفعل ، فقد كنت لا أزال بحاجة إلى هزة عنيفة اخرى . .

(ومنذ ذلك اليوم لا أستطيع الا أن أكتب الشعر)

ولدى انتقالي إلى الأناضول من استانبول الرازحة تحت نير الاحتلال ، وبصورة خاصة لدى مجيئي إلى بولو واتصالي المباشر بالشعب ولا سيما الفلاحين ، وسماعي المباشر لمجريات الاحداث في روسيا السوفييتية ، ولدى تردد اسماء ماركس ولينين وغيرهما في أذني ، لدى حصول ذلك كله أحسست بضرورة التعبير شعراً عن أشياء لم تُقل حتى الآن ، عن أشياء جديدة . وأثارت اهتمامي مسألة ايجاد شكل جديد يتناسب مع هذا المضمون الجديد بادىء الأمر . وبصورة عامة فان التجديد في الشكل يكون أكثر سهولة . وبدأت العمل بالقافية . . وجربت وضع القوافي لا في اواخر الأبيات بل مرة في النهاية وأخرى في البداية . وفيما يلي مثال على ذلك :

مثل البياض الذي يتدلى من الآفاق
ومثل الرغبة في الركض التي تولدها ساعات الليالي المنبسطة . .

وعند انتقالي من بولو الى طرابزون ، بهدف العبور إلى روسيا السوفييتية ، كان المضمون يهمني أكثر من الشكل . ولكنني حاولت اعطاء هذا المضمون ، أي المضمون الذي اعتبرته ثورياً ، من خلال الرموز العامة . مثال :

الهرم الواقف في وسط الصحارى الحمراء الملتهبة في مصر
ربما كان الرجل الذي يشتمك بلسان قلبه
ذا قلب جريء ، وقد يكون مجنونا ،
غير أنه مصمم بكل تأكيد على هدمك من أساسك ! . . . .

أتيت إلى باطوم . وأصبحت على تماس مباشر بالواقع السوفييتي . فمن جهة كتبت قصيدة « الجيش الاحمر » ومن جهة ثانية كنت مشغولاً مرة اخرى بقضايا الشكل . وكتبت « الكتاب المقدس » مستخدماً أبياتا ذات ١٤ تفعيلة و٧ تفعيلات . وكانت مثل هذه التجارب قد سبق لها أن اختبرت قبلي . غير أنني كنت اجربها في شعري للمرة الأولى .

رأيت في « البرافدا » او في « الازفستيا » ، لا أذكر الآن ، قصيدة كانت لـ « ماياكوفسكي على الأغلب ، وأثارت الأبيات الطويلة جنباً الى جنب مع الأبيات القصيرة اهتمامي ، غير أنه استحال علي أن أعرف معنى القصيدة عبر ترجمتها ، وفي

الطريق من باطوم الى موسكو مررنا بمنطقة المجاعة ، وتركت المشاهد التي رأيناها تأثيراً كبيراً علي ، غير أنني أردت أن أصرخ بأعلى صوتي مؤكداً على أنه حتى المجاعة عاجزة عن هدم اركان الثورة ، وأردت في موسكو أن أكتب قصيدة حول الجوع بالاستناد الى التفعيلة ، وخلائط التفعيلات غير أنني لم أوفق . وعندئذ انتصب امامي شكل الشعر الذي رأيته في باطوم . وأدركت أن هذا الشكل لن يكون من نوع الشعر الفرنسي ذي الوزن الحر والذي كنت أعرفه جيداً ، ثم اقتنعت بأن هذا سيكون شيئاً جديداً تمام الجدة ، لهذا السبب او ذاك ، وأصدرت حكمي بأن الشاعر انما كان يفكر على شكل موجات ، فكتبت قصيدة : « حدقات عيون الجياع » :

- بعضهم
يحمل بطوناً
مستديرة
تتدلى وترتطم
بركبهم
العظمية !

بعضهم
جلد . . . . . جلد فقط !
لا حياة
إلا
في العيون !

وكنت أعتقد ان القافية لعبت دوراً عظيماً في هذا الطراز من الشعر في ذلك الوقت وقمت بالكثير من التمارين لأكون قادراً على الامساك بزمام القافية . مثال :

اهطل يا مطر اهطل
اهطل يا مطر اهطل
واحلب الحلال
يا من بمثابة الأب
فقد جف الوادي ثانية والسمك غاب . . .

وفي الفترة نفسها ايقنت ضرورة أن يكون اتساق النغم في الشعر مثل اتساقه في الأوركسترا حيث يجري استخدام مختلف الآلات الموسيقية لا مثل اتساق نغمة الربابة او الطنبور او حتى الكمان وحده . وكانت قصائد « الفن الجديد » و« بحر الخرز » و« عنقود الصفصاف » من حيث التكنيك اختباراً لهذه القناعة ونتاجاً لها . غير أن الأساس ، في جميع هذه الألاعيب الشكلية ، كان يحافظ على سائر عناصر النظم المقفى المستند إلى التفعيلة ، أي عناصر شعرنا الشعبي المستند إلى العروض ، اي عناصر ديوان الأدبيات عندنا . ولم أكن اجد أية صعوبة في ترتيب القوافي لأن ديوان الأدبيات كان قد اعطى أكثر الأعيب وامكانيات القافية كمالاً ، وكنت احتفظ بهذا كتقليد عندي ، وقد كتبت قصائد ه[illegible] عل خشبة المسرح او تغنى بصورة [illegible]
بالغ التأثير على

لكي تنشد جماعياً . ووفق لحن « المارشات » الاستعراضية :
خطوة
خطوة
خطوات خط . . وات
رصـ . . . يف ، رصـ . . . يف
الأر . . صفة ، الـ . . . أر . . صفة
الجادة . .
الجادات . . .
مزدحمة ،
مز . . د . . حمـ . . . ـة .

إن للشعر السوفييتي في تلك المرحلة تأثيراً ، او جملة من التأثيرات الواضحة ، على كل تلك المحاولات للبحث عن الأشكال الجديدة ، للعثور على شكل يتناسب مع المحتوى الجديد . . » .

يقصد ناظم بقوله « تلك الفترة » فترة العشرينات ، وفي تلك السنين كان هناك فعلاً عدد من التيارات في الشعر السوفييتي ، ومن أهم هذه التيارات المدرسة « المستقبلية » بقيادة ماياكوفسكي ، والمدرسة « البنيوية » « Konstruktivizm » التي كان من بين أتباعها شعراء مشهورون مثل ايليا سيلفنسكي ... ـكي Bagritski
... حكمت ، وهو
... وداً الى قضايا

الشكل ، وليس إلى المضمون الذي كانت تلك المدارس تدافع عنه . فناظم حكمت الذي أعجب بشكل قصائد ماياكوفسكي فبدأ بكتابة الشعر وفق ذلك الطراز (من حيث الشكل) ، أقر ذات مرة بأنه هو أيضاً « مستقبلي » وفي أحد الأيام التقى ناظم بأحد الأتراك من الذين يعرفون اللغة الروسية وقال له هذا الأخير :

ـ هل أنت مجنون ؟ أنت تقول بأنك مستقبلي ، ولكن ألا تعلم بأن المستقبليين ينكرون الغنائية في الشعر ويدينونها ؟

ـ هكذا أذن ؟! إذا كان الأمر كذلك فأنا لست بمستقبلي ، ولكن ، ما هو التيار الذي لا ينكر الغنائية ؟

ـ إنه تيار البنيويين Konstruktivistler

ـ إذن ، أنا بنيوي ؟

غير إن « بنيوية » ناظم هي الأخرى لا يحتمل أن تكون دامت طويلاً . فقد يكون احدهم قد ابلغه ، بعد فترة من الزمن ، بأن الذين يعزفون عن الغنائية في الشعر هم البنيويون ، فانقلب ناظم حكمت « مستقبلياً » ثانية .

ومع ظهور بعض التأثيرات المستقبلية ، والبنيوية في أشعار ناظم اللاحقة ، من حيث المضمون ، (مثل قصيدة « الاستجابة الفنية » ـ : « إن الأجنحة المشرعة فوق كتفي الملاك الذي يوحي إلي بالشعر مصنوعة من قضبان الحديد الداعمة لجسوري المعلقة ») الا أن هذا التأثير كان تأثيراً في الشكل بصورة عامة .

وفيما يلي مثال آخر عن تأثير الشعر السوفييتي في تلك الفترة على ناظم : في أيام عام العشرين كانت هناك قصيدة في موسكو يتناقلها الناس هي قصيدة « غرناطة » لـ « ميخائيل سفيتلوف Mihayil Svetlof و« غرناطة » هذه هي احدى مدن اسبانيا . وبطل القصيدة يطلق اغنية يكرر فيها : يا غرناطة ، يا غرناطتي . . وفجأة تصيبه رصاصة في جبهته فلا يستطيع اكمال كلمة غرناطة بل تبقى ناقصة : « غرنا . . . » ويموت . ويبادر ناظم حكمت الذي لم يكن يعرف معاني كلمات تلك القصيدة ، والذي اكتشف لعبة ابقاء الكلمة ناقصة في الشعر ، الى استخدام هذه اللعبة في اثنتين من قصائده هي : « عنقود الصفصاف » و« بحر الخرز » .

الفرسان الفرسان ذوو الخيول الحمراء
خيولهم ذوات اجنحة من الريح !
خيولهم ذوات اجنحة من
خيولهم ذوات
خيولهم . . .
خيول . . . (من عنقود الصفصاف)

القارب يعلو
القارب يهبط
القارب يعـ . .
القارب يهـ . . .
يو . . .

يـ . . .

يو . . (من قصيدة بحر الخرز)

وبعد فترة طويلة من الزمن قال ناظم ما يلي تعقيباً على ما دار من حديث حول هاتين القصيدتين وذلك عام ١٩٥٢ :

ـ في شعر شفتلوف قنبلة يدوية لم تنفجر بعد ولكنها ستنفجر بعد قليل ، اما في شعري أنا فهناك زورق لم يغرق بعد ولكنه سيغرق بعد قليل ، وحصان موشك على السقوط . .

ـ فقلنا له : عن أية قنبلة تتحدث يا أستاذنا ؟

ـ اليست غرناطة (Granata) قنبلة يدوية ؟

ـ نعم ولكن الكلمة الواردة في القصيدة هي غرناطة Grenata أي احدى مدن اسبانيا وليست « غراناتا » « Granata ».

ـ لا ، أصحيح ما تقولون ؟! عليها اللعنة ! لقد فهمتها كذلك ! فما العمل ؟ والقصيدة كتبناها وانتهى الأمر . .

وهذا المثال أيضاً يبين هو الآخر أن تأثير الشعر السوفييتي على ناظم كان في الشكل قبل كل شيء . . ولا بد من البحث عن تأثير الشعر السوفييتي في ذلك الحين في الأجواء التي خلقت شعر تلك المرحلة ، في الحماس الذي ولدته الثورة ، قبل كل شيء . فالثورة التي جعلت أمثال ماياكوفسكي وباغريتسكي وسفيتلوف يكتبون الشعر ، والحرب الأهلية ، واجواء النيب N.E.P ، هي التي دفعت بناظم ايضاً إلى كتابة تلك القصائد الحماسية ، والمحتوى في كل من الشعر السوفييتي وشعر ناظم

حكمت في تلك الفترة هو محتوى مشترك . وناظم الـذي كان دائم البحث عن شكل جديد لكل مضمون جديد أفـاد ، لا شك ، من بعض الأشكـال التـي ابتكرهـا ، الشعـراء السوفييت ، وأكاد اجزم بان من المفيد أخذ كل هذه النقاط بنظر الاعتبار لدى بحث تأثير الأدب السوفييتي على شعر ناظـم حكمت الذي يقول : « بعـد عودتـي الأولى إلى الوطـن عام ١٩٢٥ كان الشعر الذي يخاطب الجماهير المحتشدة من حيث الشكل والمضمون هو الشعر الذي استمر في اثارة اهتمامـي ، وفي ظل ظروف تلك الفترة كنت أستطيع أن القي قصائدي في احد المسارح أمام نظارة كلهم من العمال .

وعدت إلى موسكـو : لأجـد واقـع الاتحـاد السوفييتـي من جهة ، الأزمة الثورية الدورية في سائر ارجاء العالم من جهة ثانية ، والشوق الى الوطن من جهة ثالثة ، كل ذلك اخذ مكان الصدارة في أشعـاري . كما أن قضيـة العثـور على الشكل المناسب لمثل هذه الموضوعات اصبحت ماثلة هي الأخرى .

في تلك الفتـرة كنـت أعيش ، ليلي ونهـاري ، مع ماركس وانجلز ولينين . فالاساتذة الثلاثة هؤلاء لم يكونوا بالنسبة لي ثلاثة علماء كباراً ، وثلاثة ثوريين كباراً ، بل وثلاثـة فنانيـين كباراً ، وكباراً جداً . ورغبت في وضـع مؤلفـات لينـين على خشبة المسرح بصورة مباشرة ، وهذه الرغبة قادتني إلى ان افعل الشيء نفسه في الشعـر . واردت أن اوضح مضمـون كتـاب « المادية والتجريبية النقدية » في قصيدتـين . احـداهما نشرت

بعدد من اللغات ، هي قصيدة « بيركلي » اما الثانية فقد أضعتها ، ولا اذكر منها سوى الأبيات الأربعة التالية :

وانا اقرؤك يا عزيزي يوم
أنعس وأنعس على الدوام
ولست أعرف مالك في الحلم
ان لك فلسفة مثل الحلم
إن لك فلسفة مثل الحلم . .

وخاصة اقتنعت بان لا غنى عن العنصر الغنائي الذي أنكرته بعد وصولي الاول الى موسكو . وقد اعطى هذا العنصر الغنائي المتجدد مبرراً لكسر الحدة في الشكل ، مثال :

أريد ان أعود إلى البحر
أريد أن اتمرّى
على صفحة المياه الزرقاء
أريد أن اعود إلى البحر
أريد أن أعود إلى البحر . . .

وبدأ عدد الصور المفعمة بالمفاجئة ، أو ربما يجب ان اقول ، الصور الخاصة والفريدة ، في قصائدي يتضائل . وفيما يلي عدد من الامثلة عن مثل تلك الصور . الى الحبيبة :
إيه يا بوانكاريه ، الأجرودية ذات الفستان الطويل !
أو : إيه ايتها المرأة ذات الروح الشبيه بمجلس اللوردات .
او : . . . لن أغدو مسروراً
الا عندما اعلق المحراث بذيلي . . .

وأثبت توربينا في بطني . .

ثم عدت إلى الوطن ، ودخلت السجن فور عبوري للحدود . وظهر تأثير سجن « هوبا » من حيث المضمون في شعري . فقد كانت مذكرات سجن هوبا . . نوعاً من المحاولة للوصول إلى الاستجابة الواقعية الجديدة . واصبح الشكل وفقاً لذلك نوعاً من رواية القصة ، آخذاً صيغة الحديث العادي ، اليكم هذا المثال من قصيدة « الصمت » .

الجو في الخارج
مثل قاطع طرق
يرتدي سروالاً ضيق الكمّين مزركشاً بخيوط من اللهب
ويحاول دائباً ان يقدح النار في وجه الرياح . . .

ومهما يكن من امر فان نوعاً من الهندسة المعمارية المعروفة بالباروك « Barok » كان لا يزال مسيطراً على كل قصائدي من ناحية الشكل .

وفي الوطن كان نشاط الحزب نشاطاً سرياً بنسبة لا تقل عن ثمان وتسعين بالمئة . ومع ذلك فقد توفرت فرص نشر بعض الكتابات العلنية ، غير أنه اصبح من المستحيل أن ألقي اشعاري من على خشبة المسرح بصوت عال أمام الجماهير العمالية ، إلا أن نشر هذه الأشعار بصورة علنية ، ولو أدى ذلك إلى السجن ، كان لا يزال امراً ممكنا . وقد أثر هذا الوضع على شعري من حيث المحتوى والشكل على حد سواء . ففي بعض القصائد مثل « كرم » تعززت مع مرور الزمن قوة العنصر

الغنائي ، وأنا لا أقصد هنا العنصر البكائي الحزين ، في الخط الاساسي ، رغم الاستمرار في استخدام امكانيات الصور الصارخة والقوافي والتفعيلات الحادة . وقد أدى ذلك إلى التخفيف من حدة القوافي حتى أصبحت اللغة لغة حديث الشاعر بصوت منخفض مع واحد او أكثر من الأشخاص ، ومن أمثلة ذلك قصائد : « واحد من الصف » و« موت الواحد من الصف » ، و« البرقية التي وصلت ليلاً » و« قصة فراق » و« التفاؤ ل » ، « قد . . . » ، « المارد ذو العينين الزرقاوين » والخ .

ربما أنا
قبل ذلك
اليوم بكثير ،
سأنشر طيفي على الاسفلت ساعة الصباح
متأرجحاً عند رأس الجسر . .
ربما أنا
بعد ذلك
اليوم بكثير
سأبقى حياً
وآثار لحية بيضاء على ذقني العجوز . . .
او : كان مارداً ذا عيون زرقاء
واحب امرأة صغيرة مثل اللعبة .
وكان طموح المرأة بيتا صغيراً كلعب الأطفال .
بيتا تتفتح

في حديقته

ازهار الحبق

والسوسن . . .

واستمرت الأحداث العالمية تترك بصماتها على أشعاري وتحتل مكانا هاماً فيها . وكنت ، في ظل ظروف البلاد في تلك الفترة ، مضطراً لاخفاء ذلك تحت ستار من الدخان حتى استطيع نشرها . ومن جهة ثانية كان الواقع التركي ينعكس في هذه القصائد . مثلما هي الحال في قصيدة « لماذا قتل البنرجي نفسه »؟ . . واحياناً اخرى كنت أضطر إلى ان اقول ما أريد قوله تحت قناع من عناصر الخيال والصور البعيدة ، كما هي الحال في « الجوكندا وسي ـ ياو » . في حين أنني كنت أستطيع تناول البعض الثالث من المواضيع بشكل أكثر صراحة ووضوحاً . مثلما حصل في « رسائل الى تارانتا بابو » . وبطبيعة الحال فان كل هذا المحتوى لم يكن يتخلف في التأثير على الشكل . وكانت قصيدة « ملحمة بدر الدين » آخر حلقات هذه السلسلة . وفي هذه القصيدة تم من حيث الشكل ، استخدام عناصر الوزن الشعبي ، وعناصر الأدبيات الجديدة إلى حدودهما القصوى كما أرى . ومن جهة اخرى كان هذا الكتاب يجسد نوعاً من تصفية الحسابات مع سائر امكانيات الشكل التي استطعت تحقيقها حتى ذلك التاريخ ، ففي هذا الكتاب ، هذا الكتيّب الذي كتب على عجل ، وكتب نصفه فقط ، اردت استخدام كل مراحل الشكل التي مررت بها حتى

ذلك الحين ، وفي فقرة واحدة احياناً .
حاراً
كان حاراً .
كان الحر
خنجراً ذا قبضة مدماة ، ونصل أعمى . .
أو : « قلنا
لنصل ،
قلنا
لنر .
بالالتصاق
بمقبض
المحراث
وليحرث ذلك الاخ أرضه ونحن أيضاً

لنحرث

أو : المائدة مزركشة بالاحمر والاخضر من حرائر بورصة
على الجدار أواني الصيني الكوتاهية مثل مهرجان حديقة غناء ،
في الأباريق الفضية خمر ،
وفي الصواني النحاسية كانت الخراف المحمرة مثل الجمر .
خنق اخاه من امه وابيه في بركة من الكلس الحي
وراح يتوضأ بدم الأخ في طشت جديد من الذهب
هذا هو المشعوذ الذي صعد إلى العرش : الجلبي السلطان محمد . . .

وأظن ان قضايا الشكل اكتسبت عندي بعد هذا الكتاب ، وخاصة بعد دخولي السجن ، مزيداً من الوضوح . اولاً ، انا لا أنكر على أي شكل امكانياته الكبيرة ، فالشعر يمكن ان يكتب بالقافية وبدونها ، بالوزن وبدونه ، مفعماً بالصور وبدون صور اطلاقاً ، صارخاً بصوت مرتفع ووشوشة ايضاً ، شريطة توفر ما سيكتب وليأخذ هذا الذي توفر لأن يكتب بأنسب الاشكال ـ كأن يأخذ الشكل المنجسم مع هذه المرحلة التاريخية أو تلك ـ وبأكثر الاساليب مهارة . وأنا شخصياً شديد الولع بجعل الشكل متطابقاً مع المضمون إلى درجة أنني أريد من هذا الشكل أن يعطي المضمون مزيداً من الوضوح شريطة الأ يصبح هو طافياً على السطح . مثل جورب ناعم يكاد لا يرى ومع ذلك يزيد من روعة ساق الحسناء الجميلة . هذا هو الشكل الذي أفضله اليوم ، ولكن في الغد ؟ من يدري فقد أفضل الأشكال الصارخة والفاقعة الوانها . وحسب قناعة وصلت اليها اليوم لا بد للشكل من أن يتبدل ، حتى في أقصر القصائد ، حسب تموجات المضمون وتطوراته . فالقصيدة التي بدأت دون قافية يمكنها ، مثلا ، أن تنتهي دون قوافي بعد مرورها بمرحلة مقيدة تماماً بالقوافي ، أو بالعكس ، أو قد تستدعي خليطاً آخر مختلفاً عن هذا وذاك من الأشكال . واقول الشيء نفسه عن اللغة والوزن أو السياق . ثم الابتعاد عن الزخرف (الباروك) ما أمكن والافادة بأقصر الطرق وأوجزها . وقد جربت كل هذا الذي أقوله في « مشاهد انسانية » وفي أشعاري التي كتبتها في المرحلة الأخيرة .

وفيما يلي الأمثلة :

الأبواب كلها موصدة ، ومسدلة كل الستائر
أين هم أين هم أين هم
إنهم في أماكن لاتزار ولا يأتي منها زوار
البكماء يوشوشون الصم من بعيد ، ومن بعيد جداً
النظر دون عيون والركض دون أقدام
تعبت من متابعة اللحاق بالمستحيل
فلأ شعل سيجارة !

وأحياناً أريد الهروب من كل الأمور التي تغلف الشعر مثل ضوء القمر والدخان والقماش الحريري الشفاف ، وألاعيب الايماء ، أو الكلمات المجنحة مثل طيف الحصان المنطلق الى السماء والخ . . كما أرغب في ألا أكتب سطراً واحداً إضافيا لا بل كلمة واحدة إضافية . إنني أريد أن أكتب عن إحساساتي وأفكاري كما لو كانت أشياء حية عارية تماماً وبصورة مباشرة ومن خلال أقصر الطرق . كما أريد أن أعثر على أنسب الأشكال لكل من المضامين ، وأريد أن أستفيد لا من تقاليد الأدب التركي فقط ، بل من تقاليد جميع الآداب التي تعرفت عليها . وذلك إذا استلزم الأمر مثل هذه الاستفادة بطبيعة الحال . هذا ، ولست مقتنعاً بضرورة تطوير تقليد ما عبر كل مؤلف جديد ، فكل فنان سيظل يبحث حتى نهاية عمره . وهو مطالب أثناء مسيرة البحث هذه بأن يجد الشكل الأنسب لكل مضمون ملموس ، وأن لا يكرر نفسه (أن لا يجتر ذاته) مع المحافظة على شخصيته دون السقوط في التقليد ، وهو لن

يعترف بأية قاعدة فنية مطلقة ، لا تتغير ، سوى تمحيص الواقع وفحصه بعين ماركسية ـ لينينية ، ومن الطبيعي أنه سيفيد من تجارب العديد من القواعد الفنية المجربة سابقاً . ولا شك أنه سيفيد من فنون شعبه هو ، ومن فنون سائر شعوب العالم ، ومن تقاليد كلاسيكيات شعبه والشعوب الاخرى . إنه سيستخدم كل ذلك كقاعدة انطلاق دون أن يسمح لها بان تتحول إلى قيود تشده إلى الوراء . وسأقول بضع كلمات حول موضوع التقاليد هذا : نحن الشيوعيين ، ونحن الفنانين الشيوعيين بالطبع ، نعتبر أنفسنا ورثة كل الثقافة الانسانية ، كل القيم التي أبدعتها البشرية جمعاء . وهذه البشرية ليست محصورة في أوربا ، وفي اليونان القديمة وروما وعصر النهضة فقط . إنها تشمل العالم كله بما في ذلك آسيا وافريقيا وامريكا القديمة والجديدة . إن الكلاسيكيات الهندية واليابانية ، والكلاسيكيات الهندية والايرانية والتركية جنباً الى جنب مع الفنون الشعبية ، مع كل ما هو موجود في الخزن الثقافية الانسانية عند هذه الشعوب بصورة عامة ، ليست على الإطلاق أقل اهمية من حصة أوربا ، ومن حصة اليونان وروما القديمتين وعصر النهضة . وهذا الشيء نفسه يمكن ان يقال حول كل من الرسم والشعر والنحت والأدب والرقص .

وطالما أن الحديث عن الكلاسيكيات قد افتتح ، فانني سأتوقف قليلاً عند هذا الموضوع : إن بعض النقاد يميلون إلى اختلاق نوع من العداء بين الكلاسيكيين من جهة وبين المجددين في ايامنا الحالية . ومثل هذا الميل أو النزوع ليس

مقصوراً على نقاد عصرنا الحالي . فهو موجود منـذ القديـم . ولكن هل هو على حق ؟ أرى ان مثل هذا النزوع خطأ ، فما الذي نعنيه عندما نقول : هذا كلاسيكـي ؟ ومـن هم الـذين نقصدهم عندما نقـول : هؤلاء كلاسيكيـون ؟ حسب كتـب الأدب الفرنسية ، وبرأي الاكثرية الساحقة من النقاد ورجال الأدب الفرنسيين ، فان كلاً من كورنيـه Corneille وراسين Racine وموليير Molière كاتب كلاسيكي ، اما فيكتور هوغو فرومانتيكي مثلا . وغوته أيضا رومانتيكي ، وبوشكـين ، هو الآخر ، رومانتيكـي ، غـير أن اكثريـة رجـال الأدب الألمـان يعتبرون شيلر وغوته من كلاسيكيي الآداب الألمانية . ورجال الأدب الروس ايضاً ينظرون إلى كل من بوشكين وليرمنتـوف على أنهما شاعـزان كلاسيكيـان . ذلك يعنـي أن المقصود من عبارتي الكلاسيكي والرومانتيكي يتغير من بلد الى آخر . ولكن الا يوجـد مقيـاس عام لصفـة الكلاسيكيـة ينطبـق على جميع البلدان ؟ نعم ، يوجد مثل هذا المقياس ، وليس مقياساً واحداً بل جملة من المقاييس . وأنا هنا أريد أن أبحث في أهـم هذه المقـاييس . إن الفنـان الكلاسيكـي هو ذلك الـذي يجدد في عصره ، ذلك الذي يبدع الجديـد ، ولا شك في أن على هذا الجديد أن يصمد امام تدفق السنين . وهذا يعنـي أن الفنـان الكلاسيكي شبيـه ببستانـي غرس شجـرة جديـدة في حديقـة الفن . وهذه الشجرة نمت صامدة أمام تقلبات المواسم والرياح والجمود ، وكبرت ولا تزال تحافظ على نضارتهـا وخضرتهـا . لنأخذ بوشكين مثالاً ، فقد كان بوشكين اكثر شعـراء عصره

تجديداً بكل تأكيد . وأضاف إلى الشعر الروسي سواء من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون ، الكثير من الأشياء الجديدة بالتأكيد ، وهذه الأشياء الجديدة صمدت . وبالتالي فان بوشكين كلاسيكي ، في حين أن عصره لم يعتبره كذلك على الأطلاق . ثم لننتقل الى ماياكوفسكي . فهذا الشاعر الحديث العظيم اصبح اليوم كلاسيكياً . وهكذا نجد أن الكلاسيكية ليست عدوة الجدة والتجديد . بل على النقيض من ذلك تماماً فما من أحد استطاع أن يبلغ مستوى الكلاسيكية الا بعد أن كان مجدداً في عصره .

إن التعصب هو أكبر أعدائنا في قطاع الفن . وهو شكل آخر من أشكال العدمية (النيهيلية) فالمتعصب ينكر عدا ما يتذوقه هو ، وينفي كل وجهات النظر الأخرى ، ان سيئات التعصب ، ولا سيما في قضايا الشكل ، هي أكثر بكثير من ان تحصى . فالذين يصرون على استحالة كتابة الشعر دون القوافي والأوزان هم ضيقو الافق مثلهم تماماً مثل أولئك الذين يصرون على ضرورة انعدام القوافي والأوزان في الشعر ، لأن الشعر يكتب بالشكلين معاً . فاللغة الأدبية ، ولا سيما الشعرية ، انما تتجلى عبر سلاسل الصور والتشابيه وما اليها ، ولكن الزعم بأن لغة كهذه هي لغة شعرية خطأ بمقدار خطأ القبول بالنقيض . وانا نفسي لم اكن في شبابي قليل التعصب . وبعد أن كتبت اشعاراً بالقوافي والاوزان الشعبية رحت ابحث عن اشكال جديدة ، وبدأت أكتب شعراً حراً خاصاً بي الى حد ما . ولكن في اساس مثل هذا الشعر كان هناك بقايا من معايير

الشعر الشعبي ، وحتى من العروض احياناً ، وتكرر الشيء ذاته في قضايا القافية واللغة ، غير أنني حاولت أن أصر على أن الشعر هو هكذا فقط ، ولا يمكن أن يكتب الا بهذه الطريقة ، ولفترة طويلة من الزمن لم اكتب شعراً غرامياً بكائياً . حتى أنني حظرت استخدام كلمة « القلب » في قصائدي ، بحجة أن القلب يرمز إلى الأحاسيس لا الى العقل والأفكار . وجاء زمن أصبحت فيه اجري وراء أكثر الاشكال تلوناً واشدها اتزاناً ، ظنا مني بان ما أريد قوله للشعب سيكون هكذا أكثر قبولاً وأقرب الى السمع ، وأشد تأثيراً . وفي أزمنة اخرى انقلبت الى الطرف النقيض تماماً حين أردت اسماع اغنياتي البسيطة بأكثر الاشكال بعداً عن الصخب والضجيج . فمتى كنت مخطئاً ؟ برأيي ان الاسلوبين كليهما ضروريان اضافة إلى العديد والعديد غيرهما . فالفنان مضطر لأن يبقى دائباً على البحث المستمر ، دونما توقف او راحة ، عن أفضل الأشكال والصيغ ، الكفيلة بجعل الشعب يصغي الى اغنيته . وفي بعض الأحيان لا تؤدي الأبحاث التي تطول اشهراً من الزمن الى أية نتائج سوى اوجاع الرأس ، ليكن . ومثل هذا البحث يخطىء احياناً . ليخطىء ، فالفنان الذي لا يعاني من وجع الرأس ومن تعب الاعصاب أشهراً ، والذي لا يخطىء ، هو وحده ذلك الفنان الذي يراوح في مكانه .

وأنا الآن أفيد من جميع الأشكال ، واكتب باوزان الأداب الشعبية ، كما أكتب اشعاراً مقفاة . وافعل نقيض ذلك أيضاً . كما أكتب الشعر بأبسط اشكال لغة الكلام دون قافية أو وزن .

وأتطرق في كلامي إلى الغرام والسلم والى الثورة والموت ، والى الفرح والحزن ، والى الأمل والشقاء والبؤس ، فأنا أريد لكل الاشياء التي تخص الانسان أن يتضمنها شعري ، انني أريد ان يجد القارىء عندي او عندنا تعبيراً عن كل مشاعره واحاسيسه ، وليقرأنا عندما يريد أن يقرأ قصيدة حول الاول من ايار ، وليبحث عن كتبنا حين يريد أن يقرأ اشعاراً حول حبه الذي لم يجد صدى .

إن حديث الشاعر عن نفسه أو عزوفه عن مثل هذا الحديث ، ومخاطبته لشخص واحد أو لملايين الناس ، كل ذلك لا يكشف النقاب عن وجهة نظره الفلسفية والسياسية . وما أكثر الشعراء الذين يخاطبون الملايين ولا يتحدثون مطلقاً عن ذواتهم ويكونون ممثلين للفلسفة الغيبية والذاتية والمثالية ، وحتى للعقائد الدينية ! وبالمقابل هناك الكثير والعديد من الشعراء الذين لا يتحدثون الا عن أنفسهم ، أو يكثرون من الحديث عن ذواتهم ، ويكونون مع ذلك ماديين ، وماديين ديالكتيكيين ايضاً . إن قصائد هؤلاء الاخيرين اصبحت ملكا للجماهير .

وأنا أريد أن أكتب أشعاراً تتحدث عني بالذات فقط من جهة ، واشعاراً تخاطب هذا الشخص الفرد أو ذاك ، وأخرى تتوجه الى الملايين من جهة ثانية . انني أريد ان اكتب الشعر عن تفاحة واحدة ، عن الأرض المحروثة ، وعن روح الانسان العائد من الزنزانة ، وعن نضال الجماهير في سبيل أيام أجمل ،

عن احزان عشق شخص فرد هنا او هناك ، وعن الخوف من الموت ، وعن مواجهة هذا الموت دون خوف ، كل ذلك أريد أن أعبر عنه شعراً .

ومنذ الساعة التي اصبحت فيها شيوعياً فان ما انتظرته من الفنون الجميلة ، وما طالبتها به ، هو : خدمة الشعب ، ودفع هذا الشعب نحو أيام اكثر جمالاً ، وأن تكون قادرة على ترجمة آلام الشعب وأحزانه وحقده وآماله وأفراحه ، جنباً الى جنب مع أتراحه . إن هذا هو الشيء الثابت الذي لا يتغير في فهمي للفن ، اما الجوانب الاخرى فقد تغيرت وتتغير وستظل تتغير . ومن أجل التعبير عن الثابت بأكثر الاشكال تاثيراً ومهارة وفائدة وجمالاً وكمالاً فقد تغيرت على الدوام وسأتغير الى الأبد دون توقف أو راحة » .

***

هذه هي الاشياء التي قالها ناظم حكمت حول مفهومه للفن ، وقد كتب بعضها بيده ، في حين أملى البعض الآخر علي أنا .

١٤/ ١١/ ١٩٦٥
أكبر باباييف

كيف يجب أن تتم الترجمة ؟

قرأت الدراسة التي كتبها قسطنطين سيميونوف ، رجل الفن والأدب الشهير في الاتحاد السوفييتي ، بمناسبة وصول ناظم حكمت إلى موسكو قادماً من رومانيا عام ١٩٥١ . فقد استقبله سيميونوف بوصفه رئيساً لممثلي رجال الفكر والفن السوفييت في مطار موسكو . وما أن التقى به ناظم حتى دخل هذا الأخير في قلب الموضوع ، دون أية مقدمات . وهما ما يزالان في السيارة التي اقلتهما من المطار الى موسكو : وقال :

« اسمع يا سيميونوف ! انت هو الرجل الذي ترجم أشعاري إلى اللغة الروسية بشكل فني حاز على اعجاب القراء الروس . غير أنني لست راضياً ، اطلاقاً ، على ترجماتك تلك . فأنت تكثر من الغوص وراء القوافي بحثاً عن الأشكال الشعرية وغالبا ما يقترن عملك بقدر كبير من التوفيق والنجاح . وتتحول ترجماتك لقصائدي ، في حقيقة الأمر ، الى اشعار جميلة غير أنها تخرج بذلك ، عن أن تكون مؤلفاتي انا وحدي . فمساهمتك انت تصبح واضحة ومتزاوجة مع انتاجي أنا . انني لست مسروراً بمثل هذه الترجمة . لا يسوؤني ابداً ان تتحول اشعاري الى نثر ، ولا يهمني ان تفقد كل شاعريتها ، يكفي

بالنسبة لي ، ان تتم ترجمة ما قلته كما قلته حرفياً دون أية زيادة او نقصان » .

مقتبس من كتاب « رحل ناظم عن هذا العالم »
لمؤلفه
فالا نور الدين
(صديق طفولة الشاعر)

● قصائد
١٩١٦ ـ ١٩١٧.

غابة السرو

ترامى إلى سمعي أنين ينبعث من بين أشجار السرو
فسألت نفسي : أيبكي أحد في هذا المكان ؟
أم أنها الرياح ، وحيدة ، تردد
ههنا ذكريات حب عتيق ؟

ظننت أن الموتى يضحكون
حين تسدل فوق عيونهم الستارات السود ؛
أم أنهم الذين أحبوا في حياتهم ،
ما زالوا ، بعد موتهم ، ينوحون مع اشجار السرو ؟

١٩١٦

نحن والبحر

يا بحر ، يا من تذكرنا بآدم أهداؤك !
املأ أفئدتنا المعذبة العليلة واسفح ما فيها .
واسترجع طيفنا المتلامح بين ثنايا اللحن الأخير
فقلوبنا تود لو تضحك ساعة الموت .

يا بحر ، ما أكثر صور اعماقك البعيدة !

دعنا ننم بين أحضان مياهك الوادعة .
ولتحمل امواجك آخر انفاسنا
الى السواحل المتعبة حيث تطوف ارواح الموتى .

انزل اليهم وقل : إن الموت اعجز من أن يحني جباه المحبين ؛
هيا امتطوا متون الامواج ، فآدم في انتظاركم !
ولتومض قطرة ماء العيون حين تموت ،
فعمرنا الذي لا يكاد يبلغ الخمسين من السنين
اضيق من ان يتسع للهجران

١٩٤٧

أيها المسافر ، اذا كان طريقك إلى الشرق

أيها المسافر ، إذا كان طريقك الى الشرق
فلا تنس ان تسأل عن اطلال تلك الخرائب
لان كل حجر فيها مقدس ،
هناك يقاتل الأبطال الجرحى
بعد أن ذرفوا آخر قطرات دمائهم .

ايها المسافر ، إذا كان طريقك إلى الشرق
فانزل إلى المناطق ذات الحدائق الغناء
حيث أسندت البنادق إلى جذوع أشجار الورود

حيث الربيع ارتوى بالدماء
وخذ بخاطر القلوب المتعلقة بتلك الاماكن .

ايها المسافر ، إذا كان طريقك إلى الشرق
فانتظر الشمس الصاعدة من خلف
الجبال المكللة بالثلوج تلك الجبال التي تسند السماوات
رافعاً وردة النصر عالياً .

١٩١٧

مولانا !

لما لف جبهتي تاج العدم
امحّى من القلب الألم والنشوة (كل نشوة وكل ألم)
واهتديت إلى الحب علاجاً للقلب
وها أنذا ، ايضاً ، واحد من مريديك ، يا مولانا !

اخترقت الظلمة التي تقف سداً يحجب الأبد
وغمرني عشق من الداخل ، فسموت إلى العرش ،
وتطهر قلبي ، فغرقت في السعادة ،
وها انذا ، أيضاً ، واحد من مريديك ، يا مولانا ،

١٩١٧

طيفها

حتى لو بكت فانها تخفي الدموع ؛
وما من مرة استطعت أن احني رأس هذه المرأة .
كم مرة جررتُ كبريائي إلى مهاوي الموت !
وداست قلبي المملوء بمصانع الأعاصير !
يا لأجوبتها ! كم هي خالية من حرارة الانفعال !
حتى توهمت بأن روحها لا تزن شيئاً .
ولكم شعرت ، شأني هذه الليلة ،
بأن قلبها لم يرتو حتى يخفق في محراب الجمال .
فلا القارب الذي ينشر شراعه معاكساً
ولا الغصن النحيل الذي يتقصف تحت اقدامها
قادران على جعل قلبها الصخري يندفع صوب الهوى
انها لا تقف لحظة واحدة امام الوردة . . .

*

مرة أخرى عدنا من جولة لنا طويلة
وبينا رحت أنا اسفح أوجاع قلبي على سمعها ،
قدمت لي قطتها ضاحكة
وهي تقول : « انظر ، كم تناسب قطتي هذه الخرزة الزرقاء ! » .



فاما أن تكون هذه المرأة مجنونة أو أنني انا الذي ضيّعت عقلي ،
وانا الذي كثيراً ما تدمرت ودمرتُ
لم أحس ، حياتي كلها ، بمثل هذا الألم العميق ؛
وفجأة تثور في داخلي جذوة الرغبة في ان اصرخ
بوجهها ، لقد اضطرمت الجذوة مثل حريق ؛
وللحظة لم أستطع مقاومة جموحي
فدست طيفها الممدد بكبرياء على الطريق
متوهماً بأن ذلك يشفي ولو شيئا من غليلي .

١٩١٧

اليتيم

للنيران المشتعلة فوق القمم البعيدة
زوارق لصيد السمك تبحر من السواحل
ولها في المياه الراكدة اغصان من اللهب دائبة الحركة .

تصاعدت الحان أغنية من الزوارق المبتعدة . . .
هذا هو النشيج الاخير ، انه لألم عميق
يندب الشرق العظيم المنهار في جنازته .
حين كان البحر يتلألأ في ضوء القمر
سمعت أصوات الرفاق الذين توغلوا في الأفق آتية من
خلفي . . .

في هذه الليلة الربيعية انا الوحيد لا احد بجانبي

أنا الغريب الوحيد الباقي على قيد الحياة ممن شهدوا هذا المأتم الاعزل الاخير ؛
انا أبن اولئك الأبطال الذي ضحوا بأرواحهم دون آهة واحدة
أنا ابن المناطق والمدن التي تنتظر عودتهم !

الآن وأنا ايمم وجهي نحو الشرق نحو الأماكن البعيدة ،
أدركت انني وحيد ويتيم في هذه المدينة
التي لا تحس
بمأساة وطني المسكين

١٩١٧

مثل الجميع

فكرت بيني وبين نفسي منذ هنيهة
أنت منذ الآن مثل نسمة لا سحر فيها ،
انت داخل قلبي الفارغ تماماً
لست إلا صوتا انطفأت اصداؤه .

واثق اني نسيتك فجأة
واختلط قسمي بحبك مع الماضي .
حتى انه لا وجود لاية ذرة من الحقد في قلبي تجاه قلبك :
انت بنظري الآن مثل كل الآخرين .

١٩١٧

ثلاث ميتات

١ ـ طالما ان قلبي هو الذي يتوقف عن الخفقان
فسيان عندي أن أموت وأنا أتعب عبير الورود
أو ألفظ آخر أنفاسي بضربة سيف . . .
طالما أن قلبي هو الذي يتوقف عن الخفقان !
هذه الليلة نصب القراصنة كمينهم . . .
وفي غمرة الرياح العاصفة الهائمة من بحر الى بحر ،
عندما انخفضت السماوات واسودت المياه
اشتبكت البوارج محدثة كثيراً من الجلبة والصليل .

ومع كل بريق لسيف يرفع ويشق السماء
تدفقت الدماء من الرقاب في بحر الظلام ؛
وفي وسط الفراغ ترنح طيف الى الأمام ، الى الوراء
ترنح . . . سقط ومات أحد القراصنة .

٢ ـ ويحك ايها الخريف هل عدت ثانية ؟
في الوقت الذي كان المرضى ينتظرون فيه ايامهم الاخيرة ؟ . .
انه ، وهو يحمل وردة بيضاء بيد فتاة ،
يشد على جرحه الذي لن يشفى .

ما هذا النشيج المفاجىء من اعماق القلب ؟ . . .
قد تتورد الوردة بفضل قطرتين من الدم .
لدى نزول الستائر فوق بشرتك الصفراء

سقطت الوردة من يدك . . . لقد ماتت الفتاة .

٣ ـ المصابيح شاحبة في الثريات
والنساء العاريات بأرديتهن السوداء الشفافة
يتململن على الأرض مثل الظلال الرطبة
هذا المساء تقيم الاسرة مأتمها الاخير .

تريد التحايل على الهم الذي لا سبب له
وتنتفخ عروق الرقبة معلنة احتدام الشهوة
لفظت انفاسها الاخيرة محطمة قدحاً من البلور
عند جيد العذراء الاخيرة ذلك الجيد الناصع .

١٩١٧

أفيقي يا فاطمة

اتكئي على صدري وانزلي من سريرك ،
هيا ، افيقي من نومك والا بكيتُ !
اصفرت اوراق الدوالي التي زرعتها انتِ
بيديك ، في العام الماضي . . افيقي ، بالله عليك ، يا فاطمة !

انظري ، طلع الصبح ، انظري ! فقد
اضاءت الانوار جذوع الأشجار ، اقول : « افيقي »! . . .
تمر الساعات ثقيلة وانا عاجز عن
ايقاظ هذه السمراء من نومها . . .

١٩١٧

نبعة المياه الباردة

أيا نبعة المياه الباردة !
أيا نبعة المياه الباردة !
لقد وضعت الحبيبة شفتيها
الملتهبتين على صدرك
فلماذا لم ترتفع حرارتك ؟
لماذا لم تدفئي ؟

١٩١٧

الطيف الجريح

إلى جودت فوزي من آل قرة عثمان

ذات ليلة اجتمعنا اربعة اصدقاء في غرفة ؛
واستعدنا ذكرى الأيام الخوالي مثل رؤى بعيدة .
دامعة كانت عيوننا ، حزينة كانت قلوبنا .
جميعاً تحدثنا عن الوطن واسهبنا ،
اثنان كانا من ابناء « آيدن »[1]
تجري في شرايينهما دماء الأسياد ،
وكانا أكثرنا بكاء مراً من اعماق القلب .

ولوضع حد لهذا الموقف
اعطيت الأصغر طنبوراً مزينا بالصدف
وقلت : « هيا ، تحركا ، ما حالة الحرد هذه ؟
هيا اعزف أنت ولنستمع إلى اغنية « زيبك الأشقر »
وليتجسد امام عيوننا زعيم الجبال الجرداء !»
عزف ، فجاء من الطنبور صوت التاريخ
وصعد « زيبك الاشقر » متسلقاً قمم الجبال ،
وغنى مجلجلاً عن مآثر وملاحم
يا لهذا الزيبك الفريد في الجبال .
واخوه كان يرقص وسط الغرفة موقعاً خطواته على النغم
تتكسر الأطياف ، وتهتز الغرفة ،
كلما ركع وضرب الأرض بركبته ذات اليمين وذات الشمال .
وكان الدم الذي صعد الى راسه قد صبغ وجهه بالحمرة .
ونظراته المتلألئة كانت تغدو نظرات الهية ، سماوية ،
وكل هزة كانت تحرك كومة من الرماد في فؤادي .
وشيئا فشيئا غامت عيناي وغطاهما السواد ،
فظننت أن سحابة زرقاء من الدخان لفت غرفتنا .
ومع مرور الوقت اصبح هذا الدخان الازرق ، الذي لا لون له
اكثر سواداً ،

ومع مرور الوقت اصبح الراقص في الوسط طيفا .
وبعد ذلك قام الطيف بشق هذا السواد .
لم يعد الشخص الذي كان يرقص منذ قليل هو نفسه الآن .

فغرقت في ظلمة اعمق متاهات الحيرة .
إن هذا الجندي الذي تطرق خطواته دماغي
كان طويل القامة ، عريض المكنبين .
وكان ذا شاربين اشقرين معقوفين ، واجفان مكحلة اقرب الى السواد .
ما أكثر ما رأيت هذا الوجه في احلامي !
انه يصرخ اثناء الرقص ، محدثاً صوتاً كصوت انخلاع السماء عن الأرض
ليتني اصبحت جزءا من كمال هذا الصوت !
أأنت يا زيبك الأشقر ؟ انت هو يا زيبك الأشقر ، أنت ؟
أيا زيبك لماذا تترنح ؟ وما الذي غير لونك ؟
لم تعد تضرب الارض بركبتك مثل السابق ،
عيناك تغمضان . . . ماذا جرى لك ؟
ماذا ؟ لماذا تسيل الدماء القانية من جفنك الاكحل ؟
هل قتلتك رصاصة هذا الكافر واحرقتك ؟
يا لك أيا زيبكي الاشقر ، هل جرحت انت الآخر ؟
١٩١٧

'١' أيدن : مدينة تركية معروفة

● قصائد
١٩١٨ ـ ١٩١٩

اللوعة الأخيرة

ليت يداً سحرية حولتني اسيراً لها
ليتها فهمت اناي المتقدة ،
ليتني توغلت انا وذلك الطيف الهابط نحو ليل قبرك
يا أنت ايتها الجميلة المعتمة !

ليت قلب الموت خفق عندي ،
ليت ساقي لفت جسدك الميت ،
كما لو كانت تعانق تمثالاً من الرخام البارد ،
انني عازم على ان أندس في حضنك لآخذ شيئاً من الدفء .

١٩١٨

المطر

المطر تائه . . هذا ليس مطراً .
يبدو أنه يسقط من السماوات كنوع من التسلية .

من حيث ينظر الله الى القلوب

الليالي ذات اجواء نشطة ، يتسلل المطر . . .
ظلمة السماوات الآن شافية . . .
الليالي اكثر قرباً من فؤادي !
أيتها الليالي اياك أن توقفي هذه الدموع ،
فانا ، من أعماق القلب ، بحاجة إلى البرودة ،
بحاجة لأن انتفض واطلق « آهة » عميقة . . .

كما لو كانت مجموعة من الابر الباردة تنغرز
هنا وهناك في جبهتي المستديرة نحو السماء ،
تتساقط الامطار بقطراتها الناعمة ،
ويفاجأ قلبي بالبرد قبل أن اطلق « آهتي »
المطر تائه . . هذا ليس مطراً ،
يبدو أنه يسقط من السماوات كنوع من التسلية .

١٩١٩

القوة السوداء

خلال جملة من العصور تسللت إلى هذه البلاد ،
ظلمات القوة السوداء ،
تسللت إلى اطهر وانقى القلوب ،
بدلاً من الانوار الازلية للسماوات .

خلال جملة من العصور بقيت هذه القوة السوداء ،
جرحاً نازفاً في ارواحنا ،

يحمحم مثل ذئب عطشان
حين تحاول البلاد أن تجري نحو النور .

الأيدي السوداء للقوة السوداء .
وهي تلتف هكذا حول رقابنا .
مازلنا نعطي هذا اللص
اقدس الامكنة في قلوبنا .

كل القلوب المفعمة بالايمان تميل الى نكران الذات ،
وحين لا تصل إلى السجود شاكرة
فان هذه الأيدي التي تسرق نور الشباب ،
لا بد من قطعها كما تقطع ايدي اللصوص .

١٩١٩

عزيزة

نحس به في الأعماق مثل نداء الهي
صوتك المتوغل في القلوب العاشقة .
انت عزيزة الوحيدة فيما وراء العشق
رأسك هالة نور ، عيناك بؤرتان من النور .

حين تمتلىء مخيلتي الفارغة بسحرك انت
من خلال عينيك لقنتني دينك
فأنا من اكثر نساك معبدك زهدا

مهما بلغ حجم كتاب الألم .

هاتي خمرتك فهي تسوق إلى الحلم
حين اركع امامك مختاراً
المسي جبهتي الملتهبة مرة واحدة
أيا عزيزة ، يا ذات العيون المضيئة عزيزة !

١٩١٩

● قصائد ١٩٢٠

جامع الآغا

لم تكن حدود فهمي تتسع لحالتك الحزينة هذه في البداية ،
ايه ايها المعبد المسكين ،
حين رأيتك هكذا
تمسك بايماني مثل طفل مهموم ،
رحت أذكر اسم ربي بصوت يخرج من الأعماق
ما أشد اغترابك في مثل هذه الشوارع ؟ !
ففي هذه الشوارع
قد تجد الابن في المقاهي المضيئة
حين تكون أمه بالذات تلفظ انفاسها الاخيرة ؛
في هذه الشوارع
حيث الأرصفة الموحلة ترفع ظل اقذر الرايات .
على قمتك يرفع السماسرة اصواتهم . . .
هنا تعصب يد سوداء جميع العيون ؛
غير أن روحك الجليلة داخل صدرك تجهش في البكاء !

انا أفهم هذا كواحد من احاسيسي الأولى ؛
أفهم روحك المعذب في هذا المكان . . .
ما أشد عزلتك في هذا المحيط الخالي من الأيمان !
انك مرشح لأن تجد صديقاً لو استطعت أن ترى روحي
أنا ! . . .
إيه يا روح هذا الجامع ! اذهبي الى ربنا وقولي له
اذا لم يتم الاجهاز على هذا الحي الجاحد الذي لا يكن لك ،
احتراماً
اذا لم يتم ذلك في يوم من الأيام القريبة ،
فليحترق بنيران السماوات من اوله إلى آخره !

١٩٢٠

أغنية الطريق

على جباهنا تيجان الشباب المتقدة ،
لا نكترث بالتعب ايما اكتراث .
وبأيدينا سياط نشوتنا الملتهبة ،
نسوق بها الآفاق امامنا . . .

صدورنا قوية ، قلوبنا نقية ،
نحن ننهي الطرق اللامنتهية ،
لا نعدو وراء القصور او الحمامات والخانات ،
فحيثما تغيب الشمس نبيت دونما تردد .



صباحاً هنا ، مساء هناك ،
نحن عشاق نتعقّب الأيام
احيانا على الشفاه مثل أبيات الشعر .
واحيانا لا احد يسأل : « من أنتم »؟

إيه يا أمي ! المسافر مطلوب منه ان يكون على الطريق !
حيناً ننام على فرش من ريش الطيور
وحيناً لا نجد لحافاً نغطي به اجسادنا !

١٩٢٠

اينة بولو*

صديقين سرنا على الطريق الذاهب الى الجبال .
علونا كثيراً حتى بدت اينة بولو على الساحل
متناهية في الصغر بازقتها الدقيقة ،
المآذن اضحت خطوطاً . والجوامع صارت نقاطا .
البيوت متداخلة في هذه المدينة المتداخلة
مع مرور الوقت اتسعت الآفاق امامنا ؛
ها قد اصبحت ذراعين تحتضنان البحر
هب النسيم فتحولت مياه البحر الى خطوط
الطرق ملأى بالاوراق الذابلة ؛

---

* اينة ابولو : مدينة على البحر الاسود

استطعنا أن نصل الى سفح آخر صخرة في الجبل
سيراً على اكوام اوراق الشجر مترنحين زاحفين .
هذه الصخـرة فوق هذه القمة منتصبـة مثـل رأس مفعـم بالكبرياء !

اذا استطعنا أن نتسلقها وننظر من فوقها
فإننا سنرى ذلك العالم الأسطوري الذي سمعنا عنه في ايـام الطفولة
سنرى أعماق الأناضول الجميلة .
وكي ننقش الصورة في لحظة على قلوبنا
اغمضنا عيوننا قبل أن نخطو الخطوة الاخيرة .
وما أن فتحناها حتى تبدت امامنا
هضبة الأناضول الحالمة بأوديتها المجللة بالغمام .
من بعيد كنا نرى الطريق النازل الى الوادي .
وعلى يمينه مرج اخضر ، وعن شماله غابة من اشجار الصنوبر .
ما أقرب سفوح الجبال الى بعضها !
حتى ان الربيع الذي هوى في الوادي عجز عن الصعـود مرة اخرى .

١٩٢٠

الشمع

يَدٌ من الشر لساحرٍ صعلوك
قدمت لي جسدين رخاميين لامرأتين عاريتين
جبهتاهما محاطتان بهالة من ألسنة اللهب المترنحة
خذها لك !

غير أني اكتشفت أن هناك سراً في الأمر ،
فان المرأتين وهما ترفعان صنمهما المصنوع من النار
تتضاءلان مع الزمن ، تذوبان مع مرور الوقت ،
وتسلمان جسديهما الابيضين للظلام .

١٩٢٠

أسير الاربعين حرامي

مع ظلال الليل المتسللة من بين الأغصان العريضة
مع زئير الرياح الهادرة في الغابة
حين تفتقد كل الورود ألوانها هذا المساء ،
ستُقطع ذراعا اسير بطل ،
هو جندي ذائع الصيت ، خبأ الربيع في دمائه ،
ظل رافعاً طيف الراية المصنوعة من اللهب ،

في جبهته المزهوة العالية دون أن تقع مرة واحدة ،
وما أكثر البلدان التي هزمها حين صاح بصوته الجهوري !

في ساحة خلت من الشجر اشتعلت كومة من جذوع الشجر ،
غمر النور وجوه اللصوص المعتمة .
وبادر رئيس قطاع الطرق
الجالس على صخرة يغطيها الفطر جعلها عرشه مثل اله صغير
الى اصدار الاوامر ، راح يغمغم ويهمهم
ثم قال بصوت اجش : « هيا اقطعوا » !
حين كان اللصوص يتراجعون بثقل
اندفع طيف عريض شامخ الى الأمام .
بالانسام المعاتبة لألسنة اللهب تبدت اطلالة برونزية ،
بجبهتها العريضة العالية ، وكتفيها العريضتين (ومنكبيها العريضين) ،
إنها اطلالة البطل الأسير الذي ستقطع ذراعاه
لم يشحب لون شفتيه ، ولم يطل الخوف من عينيه !
تألق النصل الفولاذي لاحد الفؤوس في غمار الظلمة ،
انبعث صوت جاف ، ثم راحت عروق الدماء النازفة
تطلق اعمدة من الدخان هنا وهناك ،
لم يبق للأسير ذائع الصيت الا ذراع واحدة !
طاف الغابة من اولها إلى آخرها صوت مخنوق :
ـ « هيا اقطعوا الذراع الثانية ، هيا اقطعوا » !
حين كان الجلاد يرفع الفأس التي وضعها على الأرض ،
التمعت الفأس فجأة في يد الاسير

مع انطلاق الذكريات المجيدة للماضي المجيد
في احد الايام التي اقتربت من الساحة مع الظلال !

١٩٢٠

تعال ايها الشباب

تعال أيها الشباب المؤمن ، تعال أيها الشباب المنتظر ،
تعال ففي الاناضول من يعلقون الآمال
على ايمانك الفولاذي ، على عزيمتك التي لا تلين

. . . .

هل انتم ايضا بعتم انفسكم لذلك الوزير المأجور
لأولئك المأجورين ، لذلك الطاغية المرتزق ؟
هل انتم ايضاً بعتم انفسكم ؟
ان لم تكونوا قد فعلتم ذلك . . فهيا اذن !

١٩٢٠

● قصائد
١٩٢١ ـ ١٩٢٢

الكتاب ذو الغلاف الجلدي

في ضوء القمر ليلة البارحة
مثل درويش اختبل عقله
مثل درويش انطفأت شمعته ، انقلب مقعده رأسا على عقب
قرأت طوال ساعات
في ذلك الكتاب المعروف
ذي الغلاف الجلدي الممزق والمزركش . . .

كلما قلبت الصفحات الصفراء التي تفوح منها رائحة العفن
لذلك الكتاب النائم في الأحضان الممزقة
للغلاف الجلدي المزركش
تخيلت انني انما أنبش احد القبور .
خطوطه اليدوية الناعمة امتلأت بالحياة
واظهرت الوجوه المرسومة في الاساطير :
تحول ابليس الى افعى ، حواء نجحت في اغواء آدم ،
شاهدت الروح الملعونة التي قتلت اختها .
ترنحت سفينة خشبية عملاقة في المحيطات ،

شاهدت نوحاً ينتظر الحمائم من الآفاق .
عقب اسماعيل استخرجت زمزم من الرمال .
في طور سينا رفع موسى ذراعيه الى السماء .
حين ضرب بعصاه شق بحر القلزم
فاهتدى بنو اسرائيل إلى الطرق المؤ دية للقدس .
أطلق زكريا ذكره
مع آهة لا آخر لها
ولد عيسى ، اهدت مريم
بكرها الى الله .
فتحت المدينة ذراعيها لمحمد القرشي .
تحولت كربلاء الى مقبرة من النار للحسين . . .
مع تقليب الصفحات
كل هؤ لاء انتصبوا ثم سقطوا تباعا
غاب القمر واطلت الشمس
واتقدت النار في قلبي
ثم القيت بالكتاب
ذي الغلاف الجلدي المزركش والممزق
في بئر عمياء
لعله يدفن في نومة أبدية . . .

أسفي علينا فقد كنا طوال قرون ضحايا للتضليل !
نرى الخطوط المرسومة في الظلام
نراها ونتمسح بها ،

اسفي علينا ، اسفي فقد احترقنا مثل قنديل . . .
لم تأتنا النجدة من السماء ، ولا لقينا منها ذرة من الرحمة .
ما قدّم موسى وعيسى ومحمد
للعبيد الكادحين الا سطراً من الدعاء ، وشيئا من عبق البخور ،
مع التوجيه الى الطرق المؤدية للجنات الخرافية .
فلا الأذان المرفوع خمس مرات ، ولا اجراس انجيلوس .
استطاعت أن تحرر الكادحين المعدمين من قيودهم .
ما زلنا عبيداً ، ويوجد لنا سادة ،
ما زالت الجدران ذوات الحجارة الملعونة المغطاة بالفطر
تفصل ابناء الارض إلى جماعتين
العبيد . . . ، والسادة .
ما زال السيد يصدر الأوامر ، وما زال العبد يكدح .
ما زال العبيد محرومين
حتى من فضلات وبقايا موائد السادة الفضية ،
ومن خبزهم الابيض مثل الثلج
من أباريقهم المملوءة بالخمر .
ما زلنا نمضي مساء كل يوم في ظل العبودية
نمضي الى بيوتنا حاملين قليلاً من الخبز الجاف ،
وحين يتسلل المطر من ثقوب اسطحة منازلنا
نرتجف تحت لحفنا الممزقة
منتظرين الشمس حتى نأخذ منها قسطاً من الدفء
مثل قطيع من الكلاب المريضة المندسة ببعضها ،

محاريثنا ومطارقنا مع كدحنا الطويل ،
مع معاولنا الدائبة على الانين منذ قرون ،
قد أفرحت قلب التربة السوداء
وتكللت الشجرة المعروفة باسم الدنيا بالأزهار والورود
مثل حسناء فتية طرية تستسلم للعاشق .
نحن نموت جوعاً تحت هذه الشجرة
أما السادة فيجمعون كل ثمراتها واحدة واحدة
وهم يبرزون انيابهم المفعمة بالتهديد . . .

السادة ، الآغوات ، الاولياء ، النساك
ليخنقوا جميعاً بين احضان الظلام والفراغ الأبديين ،
يكفينا نهج بسيط ، قانون واضح ، حق جلي
على طريق النور للأرواح الطاهرة هو :
من يعمل - يأكل . . .

١٩٢١

حدقات عيون الجياع

لم يكونوا بضعة اشخاص
لم يكونوا خمسة او عشرة
بل ثلاثين مليوناً
من الجياع
عندنا !

هم
لنا !
نحن
لهم !
فالجبال
للبحر !
والبحر
للجبال !
لم يكونوا بضعة اشخاص
لم يكونوا خمسة او عشرة
بل ٣٠٠٠٠٠٠٠
٣٠٠٠٠٠٠٠ !
الجياع اصطفوا ، الجياع !
لم يعودوا رجالاً او نساءاً ، شباباً او فتيات .
انهم اشجار ملتوية ذاوية
ذات أغصان ملتوية !
لا ، لم يعودوا رجالاً أو نساءاً ، شباباً او فتيات ،
بل أشجار هزيلة نحيلة !
هؤلاء
بأحزانهم المتحركة
هم لتلك الأراضي
القاحلة
بعضهم يحمل بطنا مستديراً

يتدلى
ليرتطم
بالركب العظمية !
بعضهم
جلد . . . جلد !
لا حياة
إلا في العيون !
من بعيد
تلمع حدقات العيون
حدقات العيون المجنونة
مثل رؤوس مسامير نعال الخيل الكبيرة
تمتد لتغرز في الاعصاب
في سلسلة طويلة من النقاط السوداء
المدببة !
يا لهم ،
ما أقسى الألم الذي يعانيه هؤلاء !
يا لهم ،
ما أشد نظراتهم ،
وهي تقول : المنا كبير
كبير
كبير !

ولكن ،
حتى الصفعة تعجز عن استفزاز قلوبنا

فقد تحولت الى حديد
لأن ألمنا
هو ألم ثلاثين مليوناً
من حدقات العيون
حدقات العيون !

أنت ! يا من من
تصغي الي
فاغراً فمك ؛
اتتهمني في سرك
بأنني
« انهزامي »؟!
ربما ولكن
لو فعلت مثل الاخرين
وغصت في اعماق كلامي
ثم عجزت ان تضيف شيئاً
إلى معنىَ هذا الكلام ،
لحق لي أن أطالبك بان تلتفت إلى عيني ؛
فهذه الحدقات
هي حدقات عيون مجنونة !
مجنونة !

١٩٢٢

بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة للثورة

١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥
فوق البيارق الحمراء الخمسة خمس حبات ،
ستـ . . . ته .
استا . . . عد !
ولجنا في السادسة . . .
لم تمر السنوات الخمس دون مصاعب .
وما أكثر ما تحدثت افواه الأعداء القذرة
في وجوهنا
عن الجوع
الذي كان يبقر بطوننا مثل الخازوق
وعن معاركنا الدامية
وعن الأمور الجديدة التي
اخطأنا معها في حساباتنا ،
ولكن
كل ألم وكل عذاب
وكل خطأ في الحساب
حولنا « أديسونات » في التقنية ،
لم نكتف
خلقنا

زاد عنا
أتلفنا . . .
أيها الصديق
ها قد بدأنا بالسادسة . . .
لا تنس ونحن نلج العام السادس
ان شعارنا اليوم هو :
التصنيع
اكملناه في نهاية الخامسة
واقمنا محطات الكهرباء
يا صديقي
وصراخي الآن يتعالى مثل هاتف
لا سلكي :
لا بد من ثماني عشرة محطة مماثلة
فعند انجاز المحطة الثانية عشرة
سنقيم عيداً آخر .
وعندما نقول :
تم كل شيء
فان ثمانية عشر هوائياً
سنكتب بين النجوم شعاراً يقول :
الاشتراكية
انما تعني
الكهرباء !

١٩٢٢

الكومسومول

غرسنا الراية الحمراء في محور الكرة
على أبرز نقطة من المحور الذي يخترق القطب !
جيش البروليتاريا !
مجهزاً بالمطارق الطويلة الثقيلة
ملوحاً بالمناجل ذات الشفرات اللامعة في الشمس مثل البروق
نصب كمينه هناك !
انت ايضاً هيا اقفز إلى صهوة المهر الاحمر
كن مستعداً ،
ايها الكومسومول ،
للنزال ! . . .
انت في القتال
فارس يمتطي جواداً أحمر
جرد سيفه
واستطال جسمه فوق عنق حصانه المنطلق كالريح
خلف الجيوش البيضاء الشبيهة بالآفاق الغائمة
انت فارس قوي ومعافى
الفرحة المجنونة القادمة من الألم
تقفز ، تندفع ، تزبد ، تتفجر
في رأ . . . سك

هاي ـ دا !
بادر الى حصد اوبار الغم والحزن . . هيا
كما لو كنت تنتف ريش دجاجة سوداء !
كن قوياً ،
كن منتشياً ، -
هيا ايها الكومسومول ! . .

هاري ، هاري ،
هورا ، هورا ،
هوررررا !
انتقلت الينا نحن
الدكتاتورية !

. . موسكو ١٩٢٢

عيوننا

عيوننا
قطرات
شفافة
صافية ،
وفي كل قطرة
ذرة صغيرة
من عبقريتنا التي

تعطي الحياة
للحديد ،
عيوننا
بقطراتها الشفافة الصافية
توحدت في محيط مثل
ثلج اذيب في ماء يغلي
هكذا نحن
ضعنا جميعاً
في بعضنا
ارتفع صرح عيوننا
وعثرنا على العبقرية التي تنفخ الروح في الحديد ..
عيوننا
بقطراتها الشفافة الصافية
لو لم تتوحد في المخيط
لو تناثرت
الذرات في كل الزوايا ،
لما استطعنا ادارة التوربينات والديناموهات
وأن ننشيء غابات الصلب تحت البحار . . .
ولما استطعنا أن نطفىء
نيران الليالي
الحارق عيوننا
مثل زهر الكبريت .
عيوننا

بقطراتها الشفافة الصافية
توحدت في المحيط حتى
ذاب بعضنا في بعض
كما تذوب قطعة الجليد في قدر
من الماء الغالي !
فارتفعت صروح الاتعاب المشتركة
وعثر على سر العبقرية التي تنفخ الروح في الحديد !
١٩٢٢

الشاعر

أنا شاعر
احفر على
الجدران
صور اشعاري الشبيهة بالصواعق
واصفر الحانها في الطرقات ! . . .

عيناي القادرتان
على تمييز الذبابتين المتزاوجين
على بعد مئة متر
رأتا دون شك :
أن ذوي أزواج الأقدام
انقسموا الى فريقين ! . . .

فإذا اردت ان تعرف
لأي فريق أنتسب ،
دس رأسك
في جيبك ! . . .

هناك :
الخبز الأسمر الذي يقرأ « الثقافة »
يطلعك على الخبر اليقين !
انا شاعر
كتبت من الأشعار ما يوازي سنة كاملة من الامطار
غير أنني ، حتى ابدأ بكتابة :
قمة اعمالي . . روايتي الماركسية ـ البنيوية » .
انتظر حتى اصبح « حافظاً لرأس المال » !
في لعب الكرة لاعب قدم
. . . .

وما أكثر ما بطحت اشد لاعبي الدفاع ارضاً
وما إن آخذ الطابة من لاعب الهجوم
حتى أشوطها
مباشرة في قلب الهدف !
وتدخل الطابة نمره (٥)
في بطن حارس المرمى عبر فمه المفتوح ! . . .
تلك هي ضربتي الخاصة المنسوبة الي !

فأحذية كرة القدم عندي
تعلمت هذا الفن من قلمي الرصاص !
وذلك القلم الرصاص
بكل بيت من الشعر يسد واحدة من الثغرات التسع في
اجسادكم :

ويكون ضربة حجر على نخاعكم !
الم اقل لكم : انا شاعر ؟!
نعم ، شاعر ، يا اخي ، يا صديقي ! . . .
موسكو ، ١٩٢٢

الفن الجديد

انظر إلي
أنت
أيها الاحمق !
اترك من يدك ذلك الطمبور
فأنت
لا تناسبك ربابة تنوح منها ثلاثة بلابل هزيلة
عبر ثلاثة أوتار ضامرة !

انظر إلي !

أنت
أيها الأحمق !
فالربابة ذات الأوتار الثلاثة
التي تنوح منها ثلاثة بلابل هزيلة
عاجزة
عن دفع الجماهير بكتلها وأمواجها . . !

إن الربابة ذات الأوتار الثلاثة
بالزخم الذي تأخذه
من الانهار حين تغيّر مجاريها
من عشرات القرى والمدن
عاجزة عن اضحاك أفواه الملايين
معاً
وعاجزة عن ابكائها
معاً !

أنت !
يا أنت !
لقد ماتت البلابل الهزيلة الثلاثة
وهي تنوح عبر الأوتار الثلاثة
من الألم .
فألقيتُ بها

بعيداً في زاوية مهملة !

أنت !
يا أنت !
لقد صنعوا من خشب ربابتك
ذات الأوتار الثلاثة
غليوناً ملؤوه بالأفيون
للمدمنين المجانين

أنت !
يا أنت !
اسمعْ !
لقد بدأ أوركسترا أنا
بجباله وأمواجه
بجبال كالأمواج
بأمواجٍ كالجبال !

أنت !
يا أنت !
اسمع

فقد صرخت المطارق
ذوات الأصوات الثقيلة
في مسامع السندانات !
وها هي السكك تباطح الحقول ،
نعم الحقول !
جُنَّ جنون شيخ العازفين ،
اوركستراي أنا منطلق •
بجباله وأمواجه ،
بجبال كالأمواج
بأمواج كالجبال !

١٩٢٢

ألحافي

على هاماتنا
الشمس الحارقة
وطربوش احمر .
التراب منذ الآن
غدا أحذية لأقدامنا
عجوز ريفي أقرب إلى الموت
من بغله العجوز

بجانبنا ،

لا ، لم يكن بجانبنا
بل في دمائنا
الملتهبة .

اكتاف دون عباءات
سواعد دون سياط
دون خيول ، دون عربات
دون درك ،

قرى أشبه باوكار الدببة
مدن من الطين
رأينا ذلك كله ونحن نعبر التلال الجرداء .
هكذا تجولنا في تلك الديار والبلاد !
في العيون الدامعة
للثيران الهزيلة

اصغينا الى أنين الحقول الوعرة .
ورأينا أن الأرض اقلعت عن عادة اعطاء
انفاسها ذات السنابل الذهبية
لعيدان
الفلاحة السوداء

لم نَطُفْ كما لو كنا نتجول ونحن نائمون ،
لا ،

بل انتقلنا من مزبلة الى أخرى .
هكذا تجولنا في تلك الديار والبلاد
نحن
نعلم
أن تلك البلاد
تعاني من العشق .
وهذا العشق معقد الخطوط
مثل دماغ احد الماديين ،
هناك مادة ، مادة ملموسة ، في هذا العشق !
البيوت
المتداعية
فاغرة أفواهها
على جوانب الأزقة الشبيهة بمسارب الخلد
أسند كل منها رأسه الى صدر الآخر .

أصحاب لغات الأغاني
بعيونهم الشبيهة بعيون الجان
وكلامهم الشبيه بهديل الحمام
جلسوا القرفصاء في الدكاكين .
واضعين احذيتهم المطوية اعقابها

امامهم

حد افراد الدرك
يسوق امامه فلاحاً
مارس الزنا في الحقول .
وفي المقهى
يطحق « الشيخ الجليل » وهو مثل الجد
عند قيامه ببل سيجارته

حوقل حوقلة خرجت من الأعماق
وقذف بكتلة من البصاق
في وجوه المارة .

في هذه المدينة
في هذه المدينة التي تفوح منها رائحة النوم الحامض مثل خابية
من الخل

هناك قدر هائل ليس من العشق ، ذلك الشيء الرومنطيقي ،
بل مما في اعماق روحها
من حسرة شديدة
تتلخص بكلمتين مرنتين :
البخار
و الكهرباء
اذا لم تكونوا عميانا فسترون ،

ان هذا المرابع بوجهه الشبيه بالتراب .
وابنه ذا الصدر الذي اصبح كالغربال
وهو من بقايا معارك القفقاس ،

يحملان رأسين حفرتهما مخالب الملتزم ،
مع ابنته

وزوجته

وعربته

يريد ان يتشبث بآخر شبر من ارضه ،
انه يريد
ان يموت ، اذا مات ، معهم جميعاً
وان يدفن في هذا المكان .

أما الذي تطمح إليه الجبال والحقول .
وتنتظره بفارغ الصبر مثل امرأة شبقة
فهو الماكينات
ذوات الروح البخارية
تنقلب قوتها البالغة الف حصان في اظافرها الى حديد
وتحفر التربة كما لو كانت تحفر ماء .
إيه ايها السادة

يا من تقرقرون مثل النراجيل

ذوات البطون الصفراء

يا من تمرون داخل عرباتكم التي تجرها الجياد الثلاثية

حسها

انوفكم مسدودة

مكفوفين

بالقرى

وانتم تطلقون الاهات الـ « بييرلوطية »

أيه ايها السادة

يا من لجُمت افواهكم

يا من لمعت بأيديكم

شفرات الخناجر !

لقد مللنا من سماع القصص الخرافية الحلوة .

فلا بد للشعار التالي من ان يُنقش

على صفحات

ادمغتكم :

حسرة الفلاح هي الأرض

والماكينات

هي موضوع حسرة الأرض !

١٩٢٢

حماسنا

في صيغة حماسنا
لا وجود
للخطوط
المجنونة
في صورة الجواد الاهوج المنطلق !
حماسنا ،
هو محرك قطار
لا يضيع
هيكله الفولاذي
حتى وهو ينزلق فوق السكك !
هو محرك
كل برغي فيه مهما كان صغيراً
انما استلزم دقه
وتمدد وتقلص كل تلفيف من تلافيف دماغنا
وحللنا سلسلة طويلة من المعادلات
طوال أيام !

ورفعناه مثل التكامل في الطاقة !
فهو الآن لنا نحن
هو ابن وعينا نحن
هو خاص بنا الى درجة أنه

مستعد ليسحق ما نريد سحقه
مثل قطعة العشرة قروش النحاسية حين توضع على سكته !
غير أنه
مهدد بأن يتمزق اربا
لو مال لحظة واحدة عن الطريق الذي رسمناه له !
لأنه لنا نحن وحدنا
هو ابن وعينا نحن فقط ! . . .

١٩٢٠

الى شهدائنا الخمسة عشر(١)

العيون التي تكثر النظر إلى الحرائق لا تدمع ،
والرؤوس ذوات الجباه المرصعة بالنجوم الحمراء لا تسجد ،
والمقاتلون لا يقيمون المأتم لمن قضوا .
ومع ذلك ، فلو تسنى لاحدى الصواعق ان تثقب الظلمة ،
واطلق صوت رنين الناقوس النائم في حضن السماء البكماء ،
لاستطعنا ان نتذكر اخر الصيحات المنبعثة من اعماقنا .

أيها العالم القديم ، اركع امام العالم الجديد

فمهما فعلت ، اضافة الى قضائك على عدد من رفاقنا

نحن سنصل الى تحقيق آمالنا بكل تأكيد !

أيها البحر الأسود . . لتسمع اعماقك :
اننا سنمسك بقبضة ذلك الخنجر
الذي توغل في تلك القلوب المتقدة !

باطوم ١٩٢٢

---

(١) هذه القصيدة كتبت لدى سماع نبأ قيام الرجعية التركية بالتعاون مع الامبرياليين البريطانيين بقتل قادة الحزب الشيوعي التركي الذين جاءوا ليساهموا في حرب التحرير الشعبية . وكان الرفيق الدكتور مصطفى صبحي على رأسهم . وقد تم اغتيالهم في السفينة التي أبحرت بهم من طرابزون على البحر الاسود .

● قصائد ١٩٢٣

مقدمة لقصيدة « الكرملين » للشاعر لحودي

قال سعدي
كلمته الاخيرة .
لم نعد راغبين في سماع اوزانه المتعرجة
بنقوشها المزركشة وباهاتها الشبيهة
بنقوش الشالات الشروانية !

نحن الآن بحاجة الى شاعر
يستطيع ان يرسم لعيوننا الوان طبقتنا
وقد فاحت منها روائح الدم وعرق الجباه !

انت يا من كتبت الـ « كرملين »
انت ايها « الخيام » الشيوعي ،
انت اول
شاعر
بلشفي

باللغة الفارسية !

أنت ايها الرفيق لحودي !
حذار من ان تبقى واحداً ،
هيا تكاثر ! . . .

١٩٢٣

تمثال رودوس

انني مثل تمثال رودوس
يلبس حذاءاً امريكياً قياس « ٤٥ » !
وشركات الضمان
تضمنني لـ ١٠١ سنة
ويظن الجميع
جسدي الذي لا تتسع له حدقة العين
من الرخام الخالص .
في حين انني
أعرف بأن
جسدي العظيم
ما هو الا قالب من الجص .
أعرف

لأنني حسبت :
صدري الواسع
سينفجر
بعد عدد لا يزيد عن العشرات من السنوات !
ليس في رأسي غير همّ واحد
وهو :
للذهاب
من هنا
الى هناك
أقول لمن يبنون الجسور المعلقة
انني لم أنته من صياغة التوابيت المناسبة لجسدي !
فصدري الواسع
سينفجر !

. . . .
ليست خطواتي الواسعة ، بطول ديكامتر ،
احذيتي الامريكية ذات الـ « ٤٥ »
كافية !

لا بد من الجري ،
مثل ذلك الجري الذي يحدث في مباريات الالومبياد .
لا بد من الجري السريع !
١٩٢٣

الثامن والعشرون من كانون الثاني

(كتبت القصيدة عن الجريمة ذاتها)

ـ تا تا آتا تا ها تا تتا تا
التاريخ
ميدان صراع
الطبقات

ـ ١٩٢١
٢٨ كانون الثاني
ـ البحر الأسود
ـ البرجوازية
ـ نحن
ـ وخمسة عشر رأسا [illegible]
تتدلى من خمسة عشر شنكلا من شناكل القصابين
ـ خمسة عشر رفيقا
ـ اخاً وصديقا
ـ لا حاجة لأن تذكر أسماءهم
يكفي ألا تنسى
يوم الثامن والعشرين من كانون الثاني
ـ « ليلة سوداء »
« ثلوج بيضاء »

« رياح
« رياح »
ـ يبحر زورق بخاري من طرابزون
ـ السا . . حل . . مز . . د . . حم !
ـ يرجمون الزورق
ـ ها قد بدأ المشهد الأخير
ـ البرجوازية امتطت كتفي كمال
وكمال فوق كتفي القائد
والقائد تسلل إلى جيب الشيخ المرابي
والشيخ المرابي اختبأ في سراويل زلمه المأجورين .
ـ انهم يعوون كالكلاب
هاو . . عاو . . عاو . . تو . . .
لا تنس يا رفيق
كلما عملت البرجوازية
على خداعنا ، دأبت
على النباح
ـ عاو . . هاو . . حاق . .
ـ ألم تر الزورق الثاني ؟
ـ من كان بداخله ؟
انهم يتبعونهم
ـ الزورق الثاني ادرك الاول
ـ الزورقان التصقا ، صارا جسداً واحداً
ـ الزورقان يترنحان

ـ الامواج تتحرك
تتحرك الامواج
ـ لا
طبقتان في زورقين تتصارعان
ـ نحن
وهم !
ـ نحن عزل
هم ، مدججون بالقامات
ـ باظافرنا
ـ دام الصراع حتى النفس الاخير
ـ الصراع
اسناننا تنغرز في أيديهم
ـ رأس المقامات يدخل
ها قد دخل . . .
ـ إيه يا رفاق !
لا مجال لمزيد من الكلام :
ثبتوا نظراتكم في عيونهم
ـ البحر الأسود
يفتح قلبه خمس عشرة مرة
ويطبقه خمس عشرة مرة
ـ الخمسة عشر رفيقاً جميعهم
ماتوا مثل شيوعي واحد .

موسكو ، ١٩٢٣

لدى انتظار ثورة ١٩٢٣ الالمانية

- ١ -

دعنا من ذلك !
فمهما كان عدد الكليومترات
بين شارع « اونتردن ليندن » وبين الكرملين !
أنا أعرف ،
حتى نوعية سرب البعوض
الذي يمر فوق برلين !
إنني شديد القرب من هناك
حتى أن العمال العاطلين عن العمل
ينهبون محتويات الأفران
داخل حدقات عيوني
فلو مددت يدي لأمسكت بأصابعي

الأنوف الخنزيرية للاشتراكيين ـ الديمقراطيين ! . . .
ما أقربنا الى هناك !
فنحن قادرون على سحق كل من يدخل بيننا
بأحذيتنا الصلبة مثل جمجمة طفل في شهره السادس !!!

من أجل إشباع جياع ألمانيا
وحين نقوم بتجنيد اكياس القمح هنا
يوجد من يبرز أمامنا
الصلبان المثبتة فوق الكرات الارضية للفاشيين !
أنت أيها الأحمق
عليك أن تنسى ذلك !
فأيام عام الـ ١٨٤٩ قد ولّت !
نحن الآن لا نتسلق جبلاً ، بل ننحدر نازلين بسرعة :
والاحداث استقلت عربات السباق !
حتى أن الأنباء تغدو عتيقة قبل انجاز صف أحرفها !
الفعل ، رد الفعل ، ورد الفعل يجر الفعل !
بصورة مؤكدة !
نعم مؤكدة !

ستقوم أدوات الانتاج بتمزيق

أطر التوزيع مثل الصوص الذي يحطم قشرة بيضته ! . . .
موسكو ، ١٩٢٣

- ٢ -

هناك أصوات تأتي من مغرب الشمس
واصوات ! . . .

ماذا . . هل ستغرق في النور
تلك الزنزانة التي تضيع الشمس في حضنها ؟
هل ننتظر ؟
هل نستطيع أن ننتظر ؟
نحن !
المئة والخمسون مليونا في مشرق الشمس .
ننتظر ذلك ؟
هناك أصوات تأتي من مغرب الشمس
وأصوات ! . . .
نحن اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفييتية
نحن أصحاب الدكتاتورية الحمراء الأولى .
ننتظر رجع صدى شرارتنا التي أطلقناها قبل خمس سنوات
في أصداء هتافات « هورا ! »
وهي تملأ الأجواء فوق معامل كروب .

اليد الحمراء للكومنترن
تتهادى فوق المانيا !
الشبابات في الأحياء العمالية
تحمحم متأهبة لتتفجر الى خارج المعسكرات !
مرة أخرى تصغي شوارع برلين باهتمام
الى وقع أقدام السبارتاكيين !
أوربا توشك أن تنفجر من سرتها .
سرة أوربا ستنفجر ! . . .

ستنفجر ،
إنها تنفجر ،
انفجري . . .

هيا أسرعوا
ولنقل : « انفجرت »
لنقل بمئة وخمسين مليوناً من الأفواه دفعة واحدة :
لقد انفجرت ! »

أسمعينا يا برلين !
أسمعينا !

هل سيقوم أصحاب القمصان الزرقاء حملة القنابل اليدوية
بالحراسة مرة أخرى في شارع « اونتر دن ليندن » ؟
هل سيبعث كارل ليبنخت حياً ثانية
على الرايات الحمراء ؟ . . . .
الأجواء عاصفة
قاعدة السفينة مثقوبة
وضابط التوجيه سكران ! . . .
أيتها الفرقة الشيوعية هيا اسرعي
الى الدفة !
هيا !
أسرع ، أسرع !

فالأمور الأخرى تتبع
هيا أسرع
فوراً للاعلان عن مجالس شورى العمال والفلاحين
بديلاً عن الريخستاغ
هناك أصوات تأتي من مغرب الشمس ،
واصوات !

موسكو ، ١٩٢٣

التصنيع

تر م م م
تر م م م
تر م م م م !
تاك تيكي تاك
التصنيع يتحقق
هذا ما أريده !
هذا ما يعتمل في دماغي ولحمي
وعظامي !

ما أشد شوقي
لأن أمتطي

كل المولدات الكهربائية !
لساني المبلل باللعاب يلحس الأسلاك النحاسية .
في عروقي تلاحق كريات الدم
المحركات الانفجارية !

ترممم
ترممم
تررمممم !
تاك تيكي تاك
التصنيع يتحقق
هذا ما أريده !
بالتأكيد سأجد علاجاً لهذا الأمر
وسأكون سعيداً جداً
حين أجلس إحدى العنفات في بطني
وأعلق بذيلي سكة الفلاحة !
ترممم
ترممم
ترمممم !
تاك تيكي تاك
التصنيع يتحقق
هذا ما اريده !

١٩٢٣

الى فناني عام ٢٠٠٠

أناديك أنت
أيها الشاعر يا من ستصدح
بأشعارك عبر مكبرات الصوت
في الساحات القائمة

« اوابد مستقبلية » للشرق
بعد ٧٧ عاماً !
أناديك أنت
أيها المخرج يا من ستضع التفاؤل على خشبة المسرح
تفاؤل الجماعية عبر الممثلين الذين لم تر وجوههم الماكياج !
أناديك أنت أيها الملحن يا مهندس القرن الواحد والعشرين ،
فأنا
قد كتبت هذا الشعر في عام ١٩٢٣
لكم أنتم ،
لا شك أنكم
تواقون لمعرفة طريقة عمل
شعراء البروليتاريا
ممن سبقوكم
٧٧ عاماً .
ففي تلك الأزمنة

كان مسمار أمان القِدر الذي تغلي فيه الطبقات
معطلاً
كانت إبرة ساعة الضبط
تدور بسرعة حول محورها .
نحن في الخلف وهم في المقدمة
نحن في المقدمة وهم في الخلف
كان الفاشيون يلاحقون الشيوعيين
والشيوعيون يلاحقون الفاشيين ،
الحكم المطلق
الليبرالية
الشيوعية
نسبح في بحورها بالمئات
نحن شعراء البروليتاريا
فراشي طرش الكلس بأيدينا
والأواني الكبيرة أمامنا
ونكتب الملاحم للمقاهي العمالية
والشعارات للرايات الحمراء
والاعلانات على جدران المعامل .
كنا الأصوات الصحيحة المعافاة والتي لم تر الملاريا
لطبقتنا التي قدمت لكم مجتمعاً
خلا من الاستثمار
مجتمعاً دون برجوازية ، دون تسلط
وظللنا

كذلك
على الدوام .

١٩٢٣

دقيقة كسل عند الشاعر

.

الزرقة المشمسة المنتشرة على جانبي السفينة
هدأت شيئا فشيئا .

قمرة القبطان أطلقت صفير البوق ،
العامل توقف عن الكدح ،

ألقى النوم بمرساته في عيني .
فرسان من الدخان
على صهوات جياد من الدخان
نصبوا كمينا للكريات الحمراء في دمائي .
نفخ بوق النوم في دماغي . . . .
بين أصابعي قلم الرصاص
استطال ،

كبر ،

غلظ ،

حتى أخذ شكل عصا مكنسة .
يدي أصبحت كناس شوارع عجوز
إستند إلى مكنسته
ونام !!!

د اااا . . .
د ي ي ي . . .
د و و و و . . .
الألوان امتطت صهوات الأصوات
والأنوار تنساب في أحضان
الظلال . . .

في سجل أوامر دماغي هناك أمر واحد :
أن لا اقوم بأي عمل !!!!

دون أن أتحرك
دون أية حركة ،

أن أبقى جالساً مثل جرة فارغة . . .

فارغاً . . .
فارغاً تماماً . . .
لا حب ، لا كراهية ، لا حنين ، لا حقد ،
لا شيء منها على الاطلاق . . .

وفجأة
تصدعت جزيرة يابانية أخرى في بطني ،
الجوع ،
ناشراً أصابعه العشر فوق أنفه ،
أخرج لسانه ؛

الموت ،
لوحّ بمنديله محدثاً صوتاً كصوت قهقهة العظام .
جلست . . . .
النوم الراسي في عيني
رفع المرساة .

الفرسان الدخانية
ذابت . . .

والقائد الذي كان يسجل الأوامر في سجل دماغي
طرد من خيمته . . .

وكناس الشوارع العجوز فهم أبعاد مكنسته ،
فهمها
ووضعها ثانية
في خدمة

أولئك الذين يكنسون هموم الأرض .

١٩٢٣

الدودة التي تنخر صدري

أنتِ
تسللتِ
إلى صدري الصنوبرة ـ قامتي المئذنة
ودخلت
بيضاء
مثل دودة ناعمة الملمس
ورحت تقضمين !
وأنا
أغذيك في داخلي
مثل العامل الانجليزي الذي يحمل في أحشائه الدود :
ماكدونالد

وأنا أعرف



من هو المذنب !
إيه أيتها المرأة ، يا ذات الروح الشبيهة بمجلس اللوردات
إيه أيتها البوانكاريه الاجرودي ذات الفستان الطويل
أن تكتوي مثل موقد القطار
الذي غدت حدائده حمراء ، حمراء
امامي ؛

ومع ذلك فان أبسط خصائصك
هو أن تتلوي فوق لوح من الثلج مثل زحافة
باردة !
حارة !
دلوعة ،
كفى ،
إنك
بالتواءاتك
الناعمة
البيضاء
تتسللين الى دماغي
وتقضمينه !
لا ، لن تصلي الى هناك
لا ، لن تستطيعي ان تقضمي دماغي .

لقد اقتلعت

الدودة التي توغلت في دماغي
بالتواءاتها الناعمة
البيضاء ،
كما لو كنت اقتلع ضرساً !
كانت هذه هي المرة الاخيرة
ولن تتكرر !

١٩٢٣

● قصائد ١٩٢٤

البيت ذو الاعمدة البيضاء في غوركي

لم ننس ذلك البيت ذا الاعمدة البيضاء في غوركي
يا لروعة الطريق المكلل بالثلج والـذي سرنـا عليه في غابـات غوركي . . .

يا لذلك التابوت الذي مر بهذا الطريق المغطى بالثلج
يا لذلك التابوت الصغير الناعم كتوابيت الاطفال . . .

يا للمارد الذي كان نائماً في ذلك التابوت الطفلي . . .
يا لك . . ايها البيت ذو الاعمدة البيضاء
ايها البيت ذو الاعمدة البيضاء . . .

من ذا الذي كان ينزل في الاحضان مثل مهد ضخم
على الأدراج العريضة المغطاة بالثلوج ؟

من الذي كان يريح
جسدك المريض في المقعد السيار ؟ . . .
من هذا الذي لم يبق منه نصفه ؟
من هو هذا العجوز المريض ؟

يا للمارد النائم في ذلك التابوت الطفلي . . .
يا للبيت ذي الاعمدة البيضاء ،
البيت ذي الاعمدة البيضاء . . . .

رسم الطريق الواجب اتباعه
بذراعه المشدودة مثل سهم ناري يخترق الظلمة . .
ولكن تلك الذراع بالذات تتدلى اليوم
من كتفه مثل غصن مكسور . . .
فالرجل الذي نطق بآخر كلمات القرن الاخير
اصبح عاجزا عن الكلام . . .

يا للمارد النائم في التابوت الطفلي
يا للبيت ذي الاعمدة البيضاء ،
البيت ذي الاعمدة البيضاء . . . . .

ها هو غارق في مقعده السيار
مثل طفل اصيب بالمرض ،
يهوي راسه

وفيما تقوم رفيقة حياته بتغطية ركبتيه . . .
يبتسم لها كطفل يبتسم لامه . . .
انه يموت يوماً بعد آخر مثل طفل اصابه المرض . . .

يا للمارد النائم في التابوت الطفلي . . .
يا للبيت ذي الاعمدة البيضاء ،
البيت ذي الاعمدة البيضاء . . .

المعلم الكبير ،
اصيب بمرض خطير . . .
عاجز عن المسير . . .
عاجز عن الكلام . . .
بذكائه المبتسم في عينيه ينتظر الموت . . .
سيموت ! . . .

كان يعرف ذلك ،
وكنا نحن ايضاً نعرف ذلك ،
كنا نعرف ، غير أننا
كنا نحاول ان نتجاهل . . .
يا لذلك البيت ذي الاعمدة البيضاء في غوركي . . . .
يا لتلك الصنوبرات المكللة بالثلج في غابات غوركي .
يا للأمسيات الشتوية التي انطفأت فوق الصنوبرات المغطاة

بالثلوج . . . .

. . . .

ايدي الرياح العاتية تذرو
خصلات الشعر البيضاء المتجمدة للثلوج ،
تهب عاصفة ربيعية مشمسة ! . . .
ويسير على الطريق الذي رسمه لينين
يسير ،
حزب
لينين . . .

موسكو ، ١٩٢٤

وفاة معلمنا

الصوت

تعالوا ،
تعالوا ماسحين الجبال مثل طابور من الدبابات الحمراء ،
ولتحترق بانفاسكم روائح الفحم والبنزين والكاز ،
تعالوا مرتدين قمصان العمل الزرقاء !

تعالوا ،

مرددين في اصواتكم
صدى صفير مداخن الاجر السوداء !

تعالوا ،
ولتكن صفوفكم مرصوصة قوية كصفوف دعاة النور !

عندي لكم نبأ ،
نبأ جعل الشعر المعدني لاعمدة الهاتف يرتجف .

ولكن
اكبر الاخطار
وأكبر الاحزان
لا تستطيع ان تحطم سلسلة الاذرعة المترابطة بقوة .
رصوا الصفوف !
فقد مات لينين !

الصدى

كذب !
كذب !
كذب !
ان مرشد الجماهير
القافز من القيامة الى الكيفية خالد لا يموت .

لا يموت
لا يستطيع ان يموت
الرجل الذي عبر منعطف القرون في المقدمة .
كيف يمكن للرجل الذي كان اول المهتدين الى المنارة في غمرة العواصف

ان يغمض
عينيه الى الابد ؟
كذب !
كذب ! كذب !
انك تكذب يا هذا ،
من يصدق ان صوت لينين
لن يسمع الى الابد ؟

رجع الصدى

إقرأوا !
إقرأوا بصوت مرفوع ،
إقرأوا محطمين باصواتكم قضبان الحديد ،
إقرأوا سطراً من لينين !
مات معلمنا الكبير
نعم ما . . . ت ! . . .



الموت
هو توقف البروتوبلازما !
غير انه
اليوم
كل بروليتاري
وغداً
كل طفل جديد يولد في مجتمع الغد الخالي من الطبقات
سيجد في مادته شيئاً من فكر لينين !

مات معلمنا الكبير
نعم ما . . . ت .

لكنه لم يتركنا وراءه مقيدي الايدي .
مات بعد ان علمنا ألغاز الفن .
فنحن سنكمل
بناء صرحنا العظيم !

١٩٢٤

الوداع

لدى مغادرة الاتحاد السوفيتي في ١٩٢٤

لقد قررنا الرحيل

ايا بلاد السوفييت
هاتي يدك ،
وليودع احدنا الآخر ،
احببناك ،
وما زلنا نحبك ،
مثلما تحب جدرانك المجروحة بطلقات الرصاص
صورة ماركس !
بمقدار ما يحب الموجيك الارض
احببناك
وما نزال
نحبك !
أيا روسيا !
روسيا المولودة في ١٩١٧
اننا نعرفك كما لو كنا
تجولنا في مناطقك
من القفقاس
وحتى سيبيريا
سيراً على الأقدام . . .

•

في قعر مطراتنا
لا تزال قطرات المياه المغلية التي ملأناها من محطاتك المغطاة بالثلج !

روسيا ،
بلاد لينين ،
رأينا فيك كيف بلغت قدرة الجماهير المنتفضة
اعلى درجات الكمال !. . . .
نشوة حمر عام الـ ١٩١٩
ارتفعت الى انوفنا مثل رائحة الدم الطازج ،
في العربات الفارغة التي تقل ٤٥ شخصاً ،
وهي نائمة فوق السكك ؛
بعيداً عن المدن الاهلة
افتى عهود الثورة
لف شواربه في اصواتنا !
هتفنا مع رياح سيبيريا !
كما لو كنا نحن الذين ثبتنا الكولتشاك
على صليب من الرصاص !
شاهدنا احتفالاتك بالأول من ايار !
سمعنا الساحة الحمراء ترن كنا قوس كبير
بكثير من الضجيج ،
منتسبات كومسومولك برؤ وسهن الحمراء واثدائهن البرونزية ،
باقدامهن الحافية
دوخت رؤ وسنا وهي تجري بسرعة خلف قطاع الطرق واللصوص !
ايا روسيا ،

يا من تقرأين الف باء الشيوعية
بشوق تلميذ يستعد للامتحان !
ايه ايتها البلاد التي سبقت الجميع
فاخرجت انفها من نافذة ما قبل التاريخ !
انت ايتها البلاد التي تعدو
بالاقدام الحافية
وتسبق سيارات المرسيدس !
نحن ايضاً رأينا احلامك الملأى
بقوافل الجرارات على الوسادة نفسها !
سمعنا مثل راديو ينصب جسراً
بين كوكب وكوكب آخر ،
حبك للكهرباء
النابض في عروقك ! . . .
نحن نعرف الكفاح العنيد
للتعاونيات والمؤسسات
لبنوك الدولة ومجموعات النيب ،
ونقول
لك :
المياه جرتك الى النيب
ولكن لا خوف عليك
فالحزب الشيوعي هو القبطان
ستسبحين !
من قال انك توقفت

انت تسبحين ! . . .

ايا روسيا ،
في رؤ وسنا ساعة مغادرتك
ذكريات خالدة مثل مادية
انجلز !
لقد قررنا الرحيل
ايا بلاد السوفييت ،
هاتي يدك
وليودع احدنا الاخر . . .

موسكو ، ١٩٢٤

قلبي

في قلبي
خمسة عشر جرحاً
انغرز في قلبي ١٥ خنجراً
قبضاتها سوداء
رغم ذلك بقي قلبي ينبض ،
إنه سيظل ينبض !!!

في قلبي ١٥ جرحاً !
والتفت حول جروحي الـ ١٥
المياه السوداء مثل الثعابين السوداء !
البحر الأسود عازم على خنقي
نعم ، عازم على خنقي
بمياهه السوداء الممزوجة بالدماء !!!

انغرز في صدري ١٥ خنجراً
قبضاتها سوداء
رغم ذلك بقي قلبي ينبض ،
إنه سيظل ينبض !!!

في صدري ١٥ جرحاً !
ثقبوا صدري ١٥ ثقباً ،
توهموا ان قلبي لن يخفق بعد الآن
من شدة الأسى .

ولكن قلبي ظل يخفق
وسيبقى يخفق !!!

في جروحي الـ ١٥ ، خمس عشرة جذوة ،

تكسرت في صدري خمسة عشر خنجرا
قبضاتها سوداء . . .
ان قلبي
يخفق مثل بيرق أحمر مصبوغ بالدماء ،
و ـ سـ يظل ـ يخـ ـ فـق !

١٩٢٤

● قصائد ١٩٢٥

كيف كتبنا اسماء الـ ١٥

حفرنا اسماء الخمسة عشر
على لوح من الرخام الاحمر الدامي ! . . . .
وعيوننا مرايا من الفولاذ
امام اولئك الذين يريدون
ان يروا صور الرجال الـ (١٥)

تركيا ، ١٩٢٥

الثقافة

ثقافة مضيئة مـ . . ضيـ . . . ـئة ! . . .
ثقافتي انا مضيئة .
ليست كقمر في السماء .

بل مثل قمر شد كالسهم يضيء من الاعالي
صراع الطبقات في الأرض !
مرتبط انا ؛
بالاراضي
الموحلة ، الدامية ، السوداء !
ولدت من ذلك الصراع القائم على الارض
وفي قلب ذلك الصراع
من قلبه اضيء انا ذلك الصراع .
حتى نرى نحن
وحتى يكونوا
هم مصابين بالعمى ! . . .
نعم اولئك
او . . . لئك
فيما يتساقطون مترنحين في الظلمات
مثل الاشجار المنخورة

اضع حدقات عيونهم المسمولة
تحت اضوائي الحارقة .
واضيء
فولاذ فؤوسنا الهاوية على جذورهم
ثقافة مضيئة . . مـ . . . ضيـ . . . ـئة !

تركيا ، ١٩٢٥

انصار الثقافة

هذا ،
هذا ايضاً ،
وهذا الآخر هنا !
جميع العمال في هذا المكان ،
نصف هؤلاء ،

هذا الوقّاد هو نفسه ، ابنته ، زوجته
هذا السائق ، هذا الميكانيكي .
لا ليس ذلك المعلم الذي يحيي رب العمل
بل الآخر .
هذان البحاران اللذان يرتديان بناطيل ذات اكمام عريضة
كلاهما ،
هؤلاء النساء
اللواتي يقمن بخياطة الثياب
باصابعهن الشبيهة بالابر ،
هذا الفلاح المرابع
الذي يحمل الطرق الوعرة في نعليه
ويلاحق الشمس
من الجبال
الى الجبال ،

هذا الرجل الذي يكتب
برأس ماركس وبعين لينين ،
وهذا الشاعر الذي يغني هذه القصيدة ،
جميع هؤلاء .
واولئك
واولئك
يحملون على جباههم تيجانا مرصعة بالمنجل والمطرقة
جميعهم من انصار الثقافة
جميعهم انصار للثقافة .

١٩٢٥

انهضوا ايها السادة

أنت يا من يشتعل بين اضلعه مصباح ادارة
بدلاً من قلب يتقد اواراً !
انت ايها الفنان
يا من تبيع الفن بالكيلو
كما لو كنت تبيع الاجاص !
الارباح التي حققتها
لن تبقى بجانبك !
لو دسست رأسك في دكانك
ثم دسست دكانك تحت الأرض السابعة :



فان نيراننا الممسكة بك
من خصلات شعرك المضمخة بالزيوت المعطرة
ستذيبك قطرة قطرة مثل احدى شمعات المقابر
ابعد يدك عن ياقة الفن
هيا ابعدها !
ابعدوها !
اوزانكم ذوات الشوارب المصمّغة
ما تزال تثبت نظراتها
على « ليلى وهي تستحم عارية في البحرة »!
ولكن اليوم
اصبحت الحان الفن الجديد تغرف
من خلال الابواق النارية في افواهنا نحن !
كفى يا مطروشات « الجامع الجديد »
كفى !

انهضوا ايها السادة .

استانبول ، ١٩٢٥

أغنية شاربي الشمس

يا لها من أغنية !
إنها أغنية الذين يشربون الشمس
في كؤوس من الفخّار !

يا لها من جديلة !
إنها جديلة
خصلات من الشعر الناري :
جديلة تتلوّى
مثل مشعل أحمر كالدم يتوهج
فوق الجباه السمراء
لأبطال أقدامهم النحاسية حافية !
أنا أيضاً رأيت أولئك الأبطال ،
أنا أيضاً نسجت تلك الجديلة ،
أنا أيضاً
عبرت معهم
ذلك الجسر
الموصل إلى الشمس !
أنا أيضاً شربت الشمس في كؤوس من الفخار .
أنا أيضاً أنشدت تلك الأغنية !
قلوبنا استمدت زخمها من التراب ؛
وانطلقنا
ممزقين
أشداق الأسود ذوات اللبد الذهبية !

اندفعنا ،
ممتطين
صهوات العواصف المزركشة بالبروق !
من قمة شاهقة

إلى قمة أكثر شموخاً
تصفق النسور أجنحتها
البارقة في الظلام .
الفرسان ذوو السواعد المصنوعة من اللهب
يلسعون مؤخرات جيادهم بالسياط !

هناك هجوم
هجوم على الشمس !
إننا سنحتل الشمس
لقد اقترب موعد احتلال الشمس !

على الذين
يحملون في أعناقهم
دموع من خلفوهم في البيت
مثل قيود حديدية

ألا يخرجوا معنا إلى الطريق !
وليتركنا
أولئك الذين يعيشون داخل أغلفة قلوبهم !
انظروا :
في هذا اللهيب
المقتطع
من الشمس
تحترق آلاف القلوب الحمراء !

هيا انتزع أنت الآخر

قلبك من قفص صدرك ؛
هيا
أسرع !
ارم به
في هذه النار المقتطعة من الشمس ؛
ارمه بين بين قلوبنا !

هناك هجوم
هجوم على الشمس !
إننا سنحتل الشمس
لقد اقترب موعد احتلال الشمس !

نحن جبلنا من التراب والنار والماء والحديد !
زوجاتنا ترضع أطفالنا من أثداء الشمس ،
لحانا النحاسية تفوح منها رائحة التراب !
حماسنا حار
حار مثل الدم
مثل تلك « اللحظة »
التي تتقد في أحلام الشباب !
علقنا شناكل سلالمنا على النجوم ،
وقفنا فوق جماجم موتانا
ورحنا نعلو ، نسمو
نحو الشمس !

الموتى ماتوا

وهم يتقاتلون ؛

ودفنوا في الشمس

لا وقت عندنا لاقامة مآتمهم ؛

هناك هجوم

هجوم على الشمس

إننا سنحتل الشمس !

لقد اقترب موعد احتلال الشمس !

الكروم الحمراء ذوات الدمعات القانية

تقدم أعنابها ،

مداخن الآجر العملاق

تصدح وهي تتلوّى

متشامخة !

أطلق الذي في المقدمة

الذي يصدر الأوامر

صرخة مجلجلة !

يا لها من صرخة !

يا له من صوت قوي !

يا لها من قوة !

إنها القوة

التي تغشى عيون الذئاب الجائعة

إنها القوة

التي توقف تلك الذئاب حيث هي !

أصدر أمرك

لمنت !

إننا نشرب الشمس من صوتك !

يملؤ نا الحماس

امتلاء حماسة !

فرسان يمزقون السماء برماحهم

عبر الستائر الدخانية للأفق الملتهب !

وينطلقون بسرعة

هناك هجوم

هجوم على الشمس !

إننا سنحتل الشمس

لقد اقترب موعد احتلال الشمس !

الأرض نحاس

السماء نحاس

هيا اصدحوا بأغنية شاربي الشمس .

هيا فلنصدح معاً

لنصد . . . د . . . ح !

١٩٢٥



البركان

تفجر العرق الرئيسي للبركان ،
موجات النحيب المنبعثة من تحت التراب الأسود
تتدفق على شكل
رياح دموية
عاصفة !
اسمعوا قصة التمرد من فم البركان !
انها تقذف
في سحب الدخان شموساً مثل بالونات حمراء !
حمرة القلب الملتهب
للبركان
اعطت المحيطات شكل بحار اللهب ! . . .
اولئك الذين يفضلون الهدوء والراحة
لهم ان يقبعوا بين جدران البيوت !
اما نحن فسنراقب من قمم الجبال
الوان القلوب النازفة
وهي تنعكس على صفحة السماء .
ممزقين الاقمشة التي تلف اجسادنا
هيا لنتعر
ولنغتسل في السنة اللهب المتصاعدة من البركان مثل قضبان

الفولاذ !

هيا نغتسل !
هيا نحترق !

١٩٢٥

حريق

الليل اسود ، الطريق أسود ،
البيت أبيض ، ناصع البياض ،
القنديل اصفر
اسود ، ابيض ، اصفر !

على العيون العمياء للّيل المتجول في الطرقات
نظارات سوداء . . .
طيور النورس باجنحتها
العريضة الثلجية
حطت فوق سطح المنزل .
البيت الأبيض يشبه امسية شمالية !
على زجاجات القنديل الاربع
استندت اربع جباه لاربعة مرضى ! . . .
القنديل اصفر .
البيت ابيض .

الليل اسود .
أ . . . ه !
« سواد الليل
بياض الثلج . . .
عويل الرياح . . .
عويل الرياح ! »

تحطمت الزجاجات !
جباه المرضى الصفراء !
صارت حمراء فاقعة !
حمراء فاقعة في بحر من الدم !
وفجأة :
الليل احمر ، الارض حمراء
البيت احمر ، القنديل احمر
احمر ، احمر ، احمر ! . . .

تركيا ، ١٩٢٥

شرق وغرب

(إلى بيير لوتي)[١]

بمناسبة يوم تحرر الشرق المستعبد

« حشيش !

توكل !

حظ !

قفص ، خان ، قافلة ،

شادروان !

سلطان يرقص فوق الصواني الفضية :

مهراجا ، باديشاه ،

شاه بلغ الف عام وعام من العمر :

من المآذن تتدلى الكراسي المصدّفة .

نساء صبغن انوفهن بالحناء

ينسجن على الأنوال ،

وفي مهب الرياح يؤذن الائمة بلحاهم الخضراء . »

هذا هو الشرق كما رآه شاعر الفرنجة !

هذا هو

شرق الكتب

التي تطبع بالآلاف كل دقيقة !

لا امس

(١) كاتب فرنسي معروف كتب عن رحلاته في الشرق

ولا اليوم
ولا غداً
لم يوجد مثل هذا الشرق
ولن يوجد !
الشرق هو
تلك الأرض .
حيث يموت العبيد العراة
جوعاً !
هو تلك البلاد المشاع للجميع
عدا الشرقي !
-حيث يموت الجوع نفسه من القلّة !
حيث عنابر القمح الطافحة .
حيث عنابر الأوروبيين !
آسيا ،
انهم يعلقون ابناء صينك من شعرهم
مثل شمعات صفراء
على اعمدة الاساطيل الاميركية .
فوق . . . فوق
وعلى اعلى قمم الهيمالايا
واكثرها ثلجاً
يعزف الضباط البريطانيون موسيقى الجاز .
صعاليكك
يمدون اقدامهم ذات الاظافر السوداء

الى الغانج حيث يرمون موتاهم ذوي الاسنان البيضاء .

الاناضول من اوله الى اخره
أصبح ساحة تدريب لارمسترونغ !
آسيا تكاد تنفجر !
لم يعد الشرق قادراً على احتمال المزيد !
لقد مللنا ، نعم مللنا !
اذا كان واحد منكم ،
قادراً حتى على التضحية بحياته
من اجل احد ثيراننا الذي مات جوعاً
فليغرب عن اعيننا !

اذا كان برجوازياً
حتى لو كان ذلك البرجوازي هو انت
نعم انت
يا بيير لوتي !
ان قمل التيفوس
الذي يعبر جلودنا المشمعة الصفراء
منتقلاً من واحد الى الآخر
هو اقرب الينا منك
أيها الضابط الفرنسي !
انت أيها الضابط الفرنسي ،

نسيت « أزادة » ذات العيون الشبيهة بحبات العنب
باسرع من نسيان احدى العاهرات !
قصفت تمثال أزادة
الذي غرسته انت في قلوبنا
كهدف لمدفعك !
ليعلم من لم يعلموا بعد ،
انت لست اكثر من مدع افاق !
نعم مدع افاق ! . . .
لانك بيير لوتي
لانك تبيع الاقمشة الفرنسية للشرق
بخمسة اضعاف اسعارها الاحتكارية ،
لقد اكتشفناك خنزيراً برجوازياً !
لو كنتُ مؤمناً بروح خارج المادة
لصلبت روحك انت
يوم تحرير الشرق
على صليب عند الجسر
ولدخنت سيجارة امامها !
انا اعطيتكم يدي ،
اعطيناكم ايدينا ،
فاحتضنوها ،
يا عراة اوربا !
ولندفع بجيادنا الحمراء جنبا الى جنب !
الشاطىء قريب

قريب ،
ايام معدودات ونصل الى التحرر :
سنة تمرد الشرق القادمة امامنا
تلوح لنا بمنديلها المصبوغ بالدم !
جيادنا الحمراء تدوس بنعالها صدر الامبريالية ! . . .
١٩٢٥

السهم المنطلق من القوس

الى تاريخ الحركة العمالية العالمية

انطلق السهم من القوس !
الهدف بعيد .
بالغ البعد
بعيد !
لا اثر للهدف !
فهو بعيد ،
كان بعيداً جداً !
السهم في طيرانه لم يكن ماهراً ، كان متدرباً ،
فترك مزق الاجنحة الدامية في الاجواء !

وهذه الرصاصة الدقيقة الطويلة

بقيت خلفه
على الدوام ؛
خلف ذلك الطيران وهو يتبادل الصدمات مع الذبذبات !
هذه الرحلة الجوية
استمرت
لسنين وسنين .
وذات يوم اصطبغ مشرق الشمس بالدماء ،
فرأس السهم قلب الهدف الاحمر ! . . .
واصبح السهم ماهراً في الطيران ، لم يعد متدرباً ! . . .
وذلك الهدف البعيد
لم يعد بعيداً بعد ذلك !
جدنا التاريخ اعطانا السهم ،
نحن اطلقناه ،
والسهم الطائر هو نضالنا انه مثل الطائر
مثل الهدف ، مثل التحرر من العبودية ! . . .

تركيا ، ١٩٢٥

الجدار

قضبان حديدية متصالبة
تمزق الشمس الى قطع
دفنت في اطار من الحجارة السوداء .

أسندت
جبهتي
الى القضبان الحديدية .
انغرزت القضبان في جبهتي
ومزقت هذه الجبهة العظمية العريضة الى قطع
جبهتي
مستندة الى القضبان ،
وجهي
مصبوغ بالدماء .
هذه الدماء دمائي انا
عيني ترى الاشياء عبر هذا الحاجز الدامي .
القضبان الحديدية
تمزق الشمس الى قطع
وهي مدفونة في اطار من الحجارة السوداء . . .
هناك
عند ذلك الجدار
عند أسفل ذلك الجدار
ربطوا سواعد رفاقنا
ذلك الجدار
اقاموه من أجلنا
ذلك الجدار ،
يلتمع مثل حبل للمشانق أشبعوه بالصابون
ذلك الجدار ،

شاهد على حدة الاسنان الصدئة المبللة
الاسنان التي مزقت كتل اللحم المغموسة بالدم
الطازج . . .

ذلك الجدار
التف حول رقبة الكرة الارضية
مثل الحزام الاسود
الذي يلف أوساط النساك
الذين تعلو عيونهم سحابات دخان الافيون !
حجر الاساس الاول لذلك الجدار
مشتق من اولى خطوات الملكية الخاصة .
عند اسفل ذلك الجدار
تتراكم عظام رفاقنا
اكواماً كبيرة مثل ابراج ايفل .
احد طرفي ذلك الجدار :
في الصين الصفراء حيث المحراث الخشبي
اما الآخر :
فهو في اعماق نيويورك حيث الفولاذ المكهرب .
يملك سندات استحقاق في كل البنوك .
ذلك الجدار
يخترق النقاط مثل خطاب اللورد كيرزون
المدرع بالامبراطورية في مجلس اللوردات .
ويحدد فرائسه من قمة برج ايفل ،

مستندا الى تمثال هيندنبرغ المرصع بالذهب
يجمع شوارع برلين بين يديه .
وموسوليني ذو الرداء الاسود
يؤ دي دور الحراسة

وهو يلعق بلسانه حجارة ذلك الجدار ،
فيما تسبح الجزمة الايطالية[1]
في بحر من الدماء .

ذلك الجدار
يرتفع في البلقان كما لو كان بلقان اخر .
ذلك الجدار
ذلك الجدار
ذلك الجدار . . .
عند اسفل ذلك الجدار
رفاقنا يُعدمون رميا بالرصاص .
ذلك الجدار ،
لكل شبر من الارض عند اسفل ذلك الجدار
ملحمة طويلة
بطول ذلك الجدار .
يتقطعون من فحولة
اولئك الذين يموتون تحت ذلك الجدار

(1) [illegible]

لتطعيم اصحاب الملايين
بشيء من الشباب
في هياكلهم العظمية المصابة بداء الزهري والمصنوعة من عيدان الثقاب !
اصحاب الملايين
مدفونون في كتل لحوم العاهرات
يصغون الى اوامر الاعدام
المعززة باصوات الرصاص
والصادرة عند اسفل ذلك الجدار
كما لو كانوا يصغون الى لحن مثير من الراديو ! . . .
ذلك الجدار ،
عند اسفل ذلك الجدار تعبئة عامة
تعبئة عامة اكبر
وأسوأ
من تلك التي شهدناها عام ١٩٤ . . .
مثلما الظلمات
تختبيء في الجحور تحت نور الشمس ،
يندفع البرجوازيون نحو هذه التعبئة العامة :
عصبة امم البوارج البريطانية ،
وذلك الدبلوماسي الذي تفوح من قفازاته رائحة البارود ،
والجنرال الذي ينتج اللحوم البشرية المتفسخة ،
والاممية الثانية ،
وذلك الفيلسوف الذي

يكتب مؤلفاته جالساً الى الشرفات
وهو يحفر تربة الدين ويسمدها .
ليقطف ازهاره السامة ،
والشاعر عاشق البومنغنات ،
والكيميائي بائع شعاع الموت ،
جميعهم مستنفـرون
نعم مستنفرون
تحت رايات ذلك الجدار
ذلك الجدار
ذلك الجدار
ذلك الجدار . . .
عند اسفل ذلك الجدار
رفاقنا يعدمون رميا بالرصاص .

١٩٢٥

جواب على ذلك الجدار

ذلك الجدار ،
جداركم انتم
لا يهمنا ولا نكترث به !
فالطاقة المكتنزة في قوانا
ليست من الوعود الضبابية لاحد رجال الدين ،

ولا من نسج اوهام احد الحالمين في اليقظة .
انها فقط
من سيرورة التاريخ المحتمة
والذي يتحدانا
انما يتحدى :
القوانين الازلية
لحركة المادة
ولتطور المجتمع .
لا وجود للسكون ،
هناك الحركة !
فاليوم ينجب الغد ،
والغد يحطم اليوم ،
وهذا مستمر دون توقف
مستمر
مستمر .
نحن ابطال اليوم ،
ونتطلع الى الغد
بشـــوق .
نحن صوت هذا العشق
المحدد
هذا العشق الذي
يهدم
ويبني

دون توقف !

فالشيوعي هو
ذلك الذي يوائم بين خطواته وبين مسيرة التاريخ
وينسف اليوم الذي تهاوت اسسه
انه البطل الذي
يبني الغد !
ذلك الجدار ،
جداركم انتم
لا يهمنا ولا نكترث به .

١٩٢٥

الشرقي واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

انا قادم من الشرق !
اتيت حاملاً معي هتافات
ثورة الشرق !
عبرت طرق اسيا
نحو الرياح التي تهب الى الشمال !
وصلت
اليك !
هيا مد ذراعيك

واحتضنني .
انت يا من
خبأت في أعماقي ، مثل حب ممنوع ،
رغبتي الجامحة في ان اراك .
انت يا من اصغيتُ لاغنياتك باخانها الأسرة
كما لو كنت أصغي الى صوت امي .
انت يا من دخلت راياتك الحمراء والحارة مثل شموس اسيا
في احلام المصابة بمــرض الملاريا !
أنت يا من اسماء ابطالك
غربت السنوات المجلجلة عبر بحار من الدماء
أنت ايتها البلاد يا من صنعت مني هتافاً للثورة !
لا الأرض ولا الحبيبة عادت تساوي شيئا في نظري
عبر طرق أسيا
نحو الرياح التي تهب الى الشمال
وصلت
اليك !
هيا مد ذراعيك
واحتضنيّ !
انا قادم من الشرق ،
اتيت حاملاً معي هتافات
ثورة الشرق !
انا شرقي !
محق في ثورتي !

اعطني عينيك ،
دلني على الفتيل
وانا ساشعله . . .
انا ابن الملايين الذين
يعملون ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة
وقد تصلبت اثار الكرابيج
على ظهورهم ذات العظام الصفراء !
انا صرختهم
الممتلئة والنفاذة ! . . .
جئت الى عتبتك ،
الى مهد الثورة ،
اطلب نوراً لعيني ،
اطلب وعياً !
في آسيا
مستنقعات لا حدود لها
مملوءة بالملاريا ، صفراء .
هذه هي المستنقعات
المرشحة
لان ترتفع في اجوائها الخضراء الفاقعة
صروح المعامل المشادة من الحديد ! . . . .
ليلاً ، نهاراً ،
تتدفق الى هذه الاجواء الخضراء الخضراء
سحب الدخان كالجبال السوداء !

والمستنقعات تتنفس الصعداء
العجلات تدور
تدور ، تدور !
وفي عيوننا ينطفىء الحقد
يخبو ، يخبو !
ودماؤنا المفعمة بالملاريا الصفراء
تغدو قطعاً متلألئة من الذهب
وفي آفاق آسيا من الاراضي السوداء
تخبو الوان
البنوك ذوات الطوابق الـ ٧٧
تخبو مثل حيوانات خرافية
تخبو ، تخبو !
هناك ، في تلك المستنقعات ،
حيث تتسكع بطون اخوتي
الموبوءة الصفراء
مثل كتل لحمية يغطيها الذباب .
تلك المستنقعات التي تبدو
للفلاحين
احلاماً جهنمية ،
هناك احسست بالرغبة الجامحة في رؤيتك
وخبأتُ رغبتي تلك في اعماقي مثل حب ممنوع ،
ولكن لا تظن انني اطلقت الانين
مثل كلب ضائع هناك

لا !
بل عبرت طرق آسيا
نحو الرياح التي تهب الى الشمال
فوصلت
اليك !
هيا .. اسرع اعط النور لعيني !
والوعي لرأسي
فمن تركتهم هناك
ينتظرونني !
علي ان اعود سريعاً الى هنا
علي ان اظهر هناك مرتدياً قميصي الاحمر .

استانبول . ١٩٢٥

تذكرت هيراقليط في موسكو

حلَّ الشتاء ،
نظرت الى ميزان الحرارة في الساحة الحمراء :
٧ تحت الصفر .
الثلج
يبدأ بالتجمد .
لا
رياح !
صفحة السماء براقة مثل لوح من الفولاذ

دون اية خطوط .

برج الكرملين :
الثلج يغطي الاكتاف العريضة لمعطفه الاحمر الطويل ،
اكبر القبور في مقبرة الاخوة التي بجواره .
يقف حارساً !
هذا القبر سفينة
الساحة الحمراء بحر . . .
صفحة السماء براقة مثل لوح من الفولاذ
دون اية خطوط ! . . .

الساحة الحمراء صارت ورائي ،
قلب المدينة اصبح ورائي ،
انحدرت
الى شاطىء النهر ،
ورحت اراقب المياه .
يجري نهر موسكو متعرجاً .
مثل
سمكة
عملاقة وسوداء
ظهرها المكتنز المستدير يتلألأ ! . . .
من يدري ربما اليوم ،
ربما غداً ،

سيتجمد
سطح المياه البراق العاري !
ولكن قلب
ذلك الذي سيجري سريعاً تحت الجليد
مثل الدماء الحارة السوداء لن يتوقف ! . . .
قبل قليل نظرت الى ميزان الحرارة على الساحة الحمراء
٧ تحت الصفر !
حلَّ الشتاء !
الثلج يبدأ بالتجمد
لا
رياح !
لم اكن لأقدر على البقاء
في هذا البرد
لو لم اكن افهم لغة المياه الجارية .
من يدري ؟ ربما لواحدة من هذه الامسيات
واحدة من الامسيات ،
امال جبهته على الامواه الجارية
بين غابات الزيتون ذات العيون الخضراء وقال :
« كل شيء يتغير ويجري
هذا الوضع يحيرني كثيراً . !! »
ايا هيراقليط ! هيراقليط ! ما هذا الجريان ؟
ما هذا الجريان ؟
لا اول له ، ولا آخر !

ما هذا الجريان ؟ ان جبهة اقدس الاصنام
تتجعد في امواجه وتكتوي بدفعة السقوط الحديدية المحماة !
وكل سقوط يحمل في احشائه صعوداً ! . . .
فمن يستطيع ان يوقف
هذه المسيرة المزبدة ؟
أيا هيراقليط ! يا هيراقليط !
هل يمكن وضع الاقفال على الامواه الجارية ؟
ها هي :
تتألق في الشمس
اعمدة الرخام الضخمة !
تلك الآتية من امبراطورية قياصرة روما ،
وتعلو مثل الباتريشيين ذوي الازرار البيضاء
فوق الطريق الذي
خلّفناه وراءنا ! . . .
ها هي روما
ها هم العبيد ذوو الرقاب الغليظة
يديرون الرحى الحجرية مثل الطواحين الصخرية . . .
بنافذته العارية الثقيلة استطاع سبارتاكوس
ان ينتزع الترس الحديدي العريض
من كتيبة روما المتغطرسة
ذاق العبد طعم الحرية :
وهو يشرب من راحتي يديه الخشنتين
وما دماء عناصر الكتيبة الحارقة لشفتيه المتشققتين !

يا لها من دماء ! يا لها من دماء ! . . .
ما يزال طعمها اللذيذ عالقاً بشفاهنا !
وسنبقى نحس به
حتى ننجز اقامة
المجتمع الخالي من الطبقات . . .
روما !
بمقدار ما ارتفع عقابها الاسود محلقاً انخفضت روما !
ذلت الحضارة المرفوعة فوق اكتاف العبيد !
واخيراً
جاء البربري حاملاً روحاً طازجة
ممتطيا جواده العاري دونما سرج
رافعاً رمحه المروس بالبرونز الخام
مثل مروحة تحديد اتجاهات الرياح
فغرق لحن الساعة الاخيرة على الميناء الشائخ لروما !
وانتهى عصر !
كانت روما ضرورة حتمية .
جاءت ثم ذهبت . . .
يا هيراقليط ! هيراقليط !
هل يمكن وضع الاقفال على الامواه الجارية ؟
ها هي
المنارات ذات القلانس الرصاصية المرصعة باللون الاخضر
تنام في الشمس !
ها هي

ابراج النواقيس :
ابراج القرون الوسطى الذليلة اليوم
عند اقدام محطات الاذاعة !
ايتها القرون الوسطى ! ايتها القرون الوسطى !
انت ايضاً فتحت عيونك على الحياة
انت ايضاً ولدت
من رحم خرائب
احد اشكال السقوط ! . . .
اقمت وسط العصور
احدى اوابد العذاب والالم
من بيوت الطين العائدة
للفلاحين الموبوئين بالبق !
وبين الحين والآخر
هنا وهناك
هبت حركات التمرد
رافعة مشاعل من الاحطاب
عبر اراضيك الوعرة ؛
والفلاحون ذوو اللحى الدامية المظلمة
التي تفوح منها روائح التراب
قطعوا رؤوس السادة المشعّرة المزينة
كما لو كانوا يقطعون غابة لم يسبق لها ان رأت الفأس !
ولكن الليالي الاولى لعرائس الفلاحين
بكارة عرائس الفلاحين

ظلت لسنوات وسنوات طويلة تتمزق
مثل انعم القماش المزركش بادق النقوش
بين احضان الاقطاعيين السكارى ! . . .
ايتها القرون الوسطى ! ايتها القرون الوسطى !
انت ايضاً فتحت عيونك على الحياة
انت ايضاً ولدت
من رحم خرائب
احد اشكال السقوط
انت ايضاً كنت ضرورة حتمية
فأتيت
صعدت
ثم سقطتي
قاتلت كي لا تسقطي
قاتلت ولكن . . .
ايا هيراقليط ! يا هيراقليط !
هل يمكن ضرب الاقفال على الامواه الجارية ؟

١٩٢٥

الموت

الى حسين عوني

(١)

ألامبراطورية الروسية ، تموت ، نعم تموت .
لا الحفيف الحريري لأذيال الفساتين في قصر الشتاء عاد
مسموعاً
ولا الادعية المخصصة للقيصر في نواقيس باسكاليا
ولا انين القيود على طرق سيبيريا . . .
الامبراطورية الروسية تموت ، نعم تموت . . .
لن تتبلل شفاه « البومشجيكات »[١] المكتنزة الضخمة
بعد الآن بالاقداح البلورية النارية ،
ولن تنام اللحى النحاسية « للموجيك »[٢] الذين يموتون جوعاً
مثل حفنة من الدم فوق التربة السوداء . . .
الامبراطورية الروسية تموت ، نعم تموت .
وقع حدوات جياد العربات
المحملة بالضباط ذوي الشعور الشقر والعيون الزرق
تختفي وراء حجب الضباب الليلية الى غير رجعة . . .

---

(١) الاقطاعيون في روسيا الاستبدادية الذين قاوموا الثورة بشراسة

(٢) الفلاح الروسي الذي لا يملك ارضا .

لن تداس مرة اخرى
تلك النحي الثلجية البيضاء
للطرق التي تبلغ اعمارها مئات السنين
بحدوات جياد العربات . . .
الامبراطورية الروسية ، تموت ، نعم تموت . .
لن تظلم ثانية تلك الشوارع المكللة بالثلوج
بسبب عربات القيصر المارة مثل الرياح ،
لن تتدلى ثانيه خصلات شعر العاملات
من حراب القوزاق ذوي القلابق السوداء . . . .
الامبراطورية الروسية تموت ، نعم تموت . . .
واليوم
فان الموت الذي اقترب منها :
ليس له رأس ذو اسنان صفراء
ولا منجل دقيق طويل ؛
بل في راحتي يديه الخشنتين راية حمراء
وفي وجنتيه دماء الشباب . . .

(٢)

الف وتسع مئة وسبعة عشر ،
السابع من تشرين الثاني . . .
لينين بصوته
الناعم والعميق قال :
« امس لم يكن قد حان الاوان ، وغداً سيكون قد فات الاوان

الموعد الصحيح هو اليوم »
قال : « اليوم»
هو المتراس المؤهل لان يقتل الموت جوعا . . .
« اورورا » بمدافعها
الثقيلة ، الفولاذية ، السوداء
قال : « اليوم »
قال : « اليوم »
فسجل البلاشفة :
تاريخ اعمق تحول في التاريخ
في صفحة التاريخ :
الف وتسعة مئة وسبعة عشر ،
السابع من تشرين الثاني !

(٣)

بطرس المجنون شرع احدى النوافذ ،
اطلقوا عليها اسم بطرسبرغ . . .
بطرس المجنون شرع احدى النوافذ ،
لملء جناحي العقاب الاسود ذي الرأسين
بالرياح البيضاء القادمة من بحر البلطيق المتجمد . . .
غير ان لكل رحلة نهاية ؛
فالرؤوس المرتفعة والحجارة المضوية ،
لتخليد الطرق المؤدية الى الآفاق الدامية ،
لا بد هاوية . .

ما كان « خيراً » امس ،
« شر » غداً ،
وما هو « صحيح » اليوم
« خطأ » غداً . . .
وهل هناك من لا يشيب شعره بين المسافرين ؟
وهكذا اذن
شاخت
بطرسبرغ بطرس المجنون
وحين مزقت الصاعقة جذع الغصن
حيث يقف العقاب الاسود
احترق جناحاه الاسودان
هوى على الارض . . .
مات . . .
عند شاطىء بحر البلطيق المتجمد
انغلقت نافذة ،
وفتحت نافذة اخرى :
فظهرت طلعة ذات عينين تتاريتين متقدتين ، ذكاء
لرأس ذي جبهة عريضة عالية . .
نافذة بطرس هي التي انغلقت
وفتحت نافذة لينين . . .

١٩٢٥

● قصائد ١٩٢٦

مفهوم الفن

أحيانا أنا الآخر ، اصعِّد أهاتي
أهة اثر اهة
مثل مسبحة من الياقوت الاحمر القاني ،
خيط هذه المسبحة المتلألئة
مجدول من الشعر الاسود الفاحم . . .

غير ان الاجنحة المشرعة على كتفي ،
وهي ملاكي الذي يلهمني الشعر :
مجدولة من الاسلاك الفولاذية
للجسور المعلقة ! . . .

أسمع
ولا أعترض
على سماع مناجاة البلابل للورود . . .
غير أن
اللغة الأساس التي أفهمها :
هي لغة سوناتات بيتهوفن
المعزوفة على اوتار النحاس والحديد ، الخشب والعظام . . .

لك أنت أن تسوق جوادك
الى حيث تشاء

مازجاً بين سحب الغبار والدخان ! . . .
اما أنا فلن أبادل
بأي جواد اصيل
من الدم العربي الخالص
راحلتي الحديدية التي تعدو بسرعة ١٥٠ كيلو متراً
على السكك الحديدية ! .

احياناً تجمد عيني مثل ذبابة كبيرة حائرة
على أعشاش العناكب المتقنة في زاوية غرفتي . . .
غير ان مبعث حيرتي الاساسية هو :
غابات الاسمنت المسلح من ٧٧ طابقا
تلك الغابات التي خلقتها بناؤونا ذوو القمصان الزرقاء !

لو ظهر امامي
ملك جمال الرجال « أدونيس الشاب إله جبيل »
عند أول الجسر
فقد لا التفت ، وربما مررت دونما اكتراث :
غير انني لا استطيع ان امر دون النظر
إلى عيني فيلسوف في بنظارتيه المستديرتين
والى وجه الوقاد
المشع مثل الشمس والغارق في سيول من العرق ! ..

أنا قد أدخن

لفائف من الدرجة الثالثة
معبأة في مصانعي الكهربائية ،
غير أنني لا أستطيع
أن ادخـــن حتـــى « الصامصـــون » بعـــد أن ألف التبـــغ
بالورقة ! . . .
لم أبادل
ولا أستطيع ان ابادل

زوجتي ذات الكاسكيت الجلدي والجاكيت الجلدي
بحواء العارية تمام العري ! . . .
قد لا اكون « شاعراً بالفطرة » !
فما العمل ؟!
احب اطفالي
اكثر من
اطفال امي الارض !

١٩٢٦

بيركلي

أنت
يا بيركلي !
انت ايها القس الفيلسوف الاتي من القرن الثاني عشر

اعلم ان الرائحة اليومية التي تفوح من فلسفتك
هي لتدويخ رؤ وسنا
هي لتركيعنا على الأرض
في معارك الحياة .

أنت
يا بيركلي !
انت ايها العزرائيل
المتقمص شكل جبرائيل من ملائكة الرب ،

أنت يا اكبر قاتل لفلسفة القرن الثامن عشر
ما تزال اصوات وقع خطواتك
تتجول في قرى اسكوتشيا[1]
ويعوي كلب مصبوغ بالدماء
لدى سماعه أصوات وقع خطواتك حتى الآن .
ما يزال أهالي القرى في اسكوتشيا
يرون كل ليلة وهم يرتجفون

شبحك على زجاج
نوافذ بيوتهم !

---

(١) اسكتلندا

ما تزال
اثار اصابعك الخمسة الدامية
في ليالي الشمال مثل تلك الزجاجات البيضاء الجامدة .

أنت
يا بيركلي !
أنت يا ضجيع فتيات الحانات ، ياذا الجبة السوداء ،
يا فارس الملك ،
يا رنين رأس المال الذهبي
ويا قسيس الله !
اعلم ان الرائحة اليومية التي تفوح من فلسفتك
هي لتدويخ رؤ وسنا
هي لتركيعنا على الأرض
في معارك الحياة !

فيما تحاول
كل كلمة من كلماتك
أن تضع القيود على ايدينا ،

تسعى أسطرك
مثل ثعبان يتلوى

لتلدغ قلوبنا .
صورتك أشبه بعيسى في وسطه خنجر
اسمك يبرز من كتبك
مثل ناب أزرق
تقطر من نهايته الحادة الصدئة
قطرات من الدم الاحمر
كل واحد من كتبك
راكع على ركبتيه امام الرب

مثل ناسك لف وسطه بحزام اسود .

أبهذا الذي تريد خداعنا
تريد تضليلنـا واقناعنا ؟
غير أننا لسنا راهبات
ينتظرن لقاء عيسى الموعود ! .

أنت
يا بيركلي !
انت يا ملك الثعالب . . يا ثعلب
حين تعترض طريقك أصغر الحصى
تتبدّى لك كما لو أنها امبراطور الأباطرة
لتحاورها
تسارع الى الباب وتفتحه

ثم تمتطي صهوة الله وتهرب من الشمال !

قف ! لا تهرب !
كل الطرق تؤدي الى روما
قد يكون ذلك صحيحاً
غير أن مناخ السفسطة هو المناخ الذي
تصول فيه وتجول كل فلسفة ترى الفكر اولاً !
هذه حقيقة
ـ ومن النوع المطلق ايضاً ـ

هذا أنت
وهذه هي فلسفتك !
انت تقول
عن تلك التفاحة
المتلألئة
المكورة
تلك التي لامست قشرتها اللامعة باصابعك :
« انها تركيبات

افكار » .

وتنكر
الوجود

الكائن
خارجنا دون أن يكون مرتبطا بنا .

هل هذا البحر الأزرق ،
هل هذه السفينة ذات الشراع الابيض في هذا البحر الازرق
هما من الأفكار التي اخذتها من ذاتك ؟
طالما أن السفينة السابحة هي فكرك انت ،
طالما أن البحر المحيط هو فكرك أنت .
فلا وجود للزمان
ولا للمكان ، أليس كذلك ؟ !

ولا وجود لأي كيان خارجك أنت
وما من أحد وجد قبلك

ولا يكون باق بعدك

لا حقيقة سواك أنت
والله ، فقط .

ولكن اسمع بوباس * الخمارات السوداء الغارق في السكر !
ألم تكن ابنة صاحب الخمارة التي كانت تتلوى بين ذراعيك المشعرتين

---

* خوري باللغة التركية

خارجـك انـت ؟

أم أنك كنت

تضاجع نفسك ؟

لنقبل معك أنك دون أب

مثل عيسى .

ولكن أليس لك أم مثل مريم

خرجت من بين ساقيها ؟

لنقل إنك وحيدا وحد

في طور سيناء مثل موسى

أفليس هناك أحد يقرأ توراتك ؟ يل للأسف !

ما أكثر ما كذبت !

اطمئن يا بيركلي

ـ ولا بأس حتى لو لم تطمئن ـ

ما يصيبك من مثل هذه القصيدة ليس أكثر من

شيء من السخرية

وقليل من المزاح

وعدد من الصفعات

من النوع الذي لا يستخدم القفازات ـ

ما العمل ؟

فالنشوة موسيقى النضال ..
ذلك الذي لا يحس بالاوزان الفولاذية للنشوة
اشبه بمن اضاع شيئا من قوته في غمرة الكفاح ؛

النشوة . . شيء جيد والسلام
ـ شريطة ألا تدوِّخ الرؤوس ـ

ورفاقنا حين يضحكون
يضحكون
ملء افواههم .
وهذا الذنب الكامن في قوتهم :
ليس ذنبك
ولا ذنبي أنا !

اسمع يا بيركلي
ـ ليس مهماً أن تسمع ـ
لنصغ نحن :
دماغنا
وعاء مملوء بالعسل ،
والحياة هي النحلة .
التي ملأته بالعسل .
والكون هو النبع
اللانهائي العميق

للأحاسيس التي نحسها !

الكون واسع
الكون عميق
الكون لا نهائي !

نحن اجزاء منه
نحن قطيع من الاشياء الهزيلة المتولدة منه !
نحن من بين تلك الاشياء الهزيلة
- من النوع الذي لا ينكر أمه -

لأننا لسنا
من يعطون الاوامر لمن يصدرونها

نحن مرتبطون بالارض
بسواعدنا الشبيهة بالاحزمة القوية العريضة !

وحين تكون أسنان الآلات الفولاذية البارقة
دائبة على تقطيع اسرار التربة السوداء ،

نراقب نحن
ميلاد
العوالم من رحم هذا العالم

في نور الضياء الفضي
لأنجم المجرّة !

رأينا ،
وما نزال نرى ،
تحول الفتيات ذوات الشفاه المخملية الحمراء
الى تراب على طريق السنين

وترسم بقايا خصلات الشعر الأسود
للنجوم المذنبة
عبر السماوات اللا محدودة
مسار الحركة امام عيوننا .

كل حبة تخفي في احضانها احدى القبب !!!
هذه البحار .
زئير هذه الرياح
العاصفة مثل البحار فوق هذه البحار
هذه المياه التي تقطر حباتها
مثل عقد من اللؤلؤ انقطع خيطه
تخفي الحقيقة
التي تقترب منا ، كلما ابتعدت . . .

كل امكنة الكون بما فيها المحيطات
امكانيات جديدة .

الكون واسع
الكون عميق
الكون لا نهائي !

انت
يا بيركلي ،
أنت أيها الصعلوك يا من تنكر جبال الكاربات
دون ان تنظر الى طولك الذي لا يبلغ الا شبراً !

اذا ذهبت الى الأخرة
فابعث لنا من هناك بحجر

لتزيين رأس إلهك !
أما هنا
فاجمع كل بضاعتك وارحل فوراً
لتبيعها
في السوق

بالمزاد العلني
بقرش بَطُل تداوله

اصرف القرش الصاعد نحو السماء
للسلطنة الكائنة على الأرض !

فلا وجود في الطبيعة
لأية قوة تعلو قوة الطبيعة

الطبيعة واسعة
الطبيعة عميقة
الطبيعة لا نهائية ! . . .

١٩٢٦

هزال الاستذة

خلع الابطال كل ملابسهم فها هم عراة !
لقد كشفوا عن كل خباياهم تماماً ،
قبة السماء ملتهبة ، والنجوم تفوح
منها رائحة الدم ،
لقد حان وقت طرق الحديد ،
عرفوا أن الموعد قد حان ،
فارتجفت أشجار الحور وخرت ساجدة الى الأرض .
ورأت أشجار الدلب
وهي غارقة في النواح
أن جذورها اقتلعت من الأرض
مثل افاع ميتة .

خلع الأبطال كل ملابسهم فها هم
عراة !

وفوق الصخور كانت الطيور ذوات
الأجنحة الحمراء
متأهبة للانقضاض

فقد عرفت أن الموعد قد حان
علت الأمواج وغطاها الزبد
ثم بدأت تتفجر . . .

قبة السماء ملتهبة ، والنجوم تفوح منها رائحة الدم والرياح
هبت متثاقلة ، متثاقلة ، وتكاثرت مع الزمن
تراكمت ، تراكمت ، وما أن حلت ساعة الصفر
« حتى علت الآهة من الاعماق »
وانخلعت الارض من مكانها
وتطايرت الجسور من مرتكزاتها
وانقلبت الحجارة المكتوبة رأساً على عقب . . .
هذا هو زمن القيامة
هذا هو انقلاب الماء الغالي الى بخار . . .

١٩٢٦



● قصائد ١٩٢٧

باتجاه النفط

اذا كانت موسكو دماغ وطننا المفكر
فان باكو هي قلبه الذي يضخ الدم الطازج ! . .

ـ ١ ـ

المغادرة

دق الناقوس الأول ،
تواكض الناس الذين يملؤ ون المحطة .
دق الناقوس الثاني ،
اهتزت العربة التي أتطلع من نافذتها .
الناقوس الثاني ، الناقوس الأخير ، نعم الأخير ! . . .
هذا القطار الذاهب إلى القفقاس
لا ينقلني
إلى المياه المعدنية في كيسلوفوتسك .
أنا ذاهب الى بلاد النفط ،
في رأسي ثقل الابيات المسحورة بالنفط ،
بطاقتي : « موسكو ـ باكو » عن طريق « روستوف » .

ـ ٢ ـ

على الطريق

« الليلة الاولى »

عجلات القطار تنقر سكة الحديد ،
أعمدة الهاتف تمر وهي تتهاوى
أخرجت جسمي حتى الوسط من النافذة
فشعرت بالبرودة كما لو انني غطست في الماء ،
أصغيت إلى الرياح المحملة بأصوات القطار .
الأجواء زرقاء مثل البحار الصيفية
باردة مثل البحار الصيفية . . .
خطوط المدينة التي خلفناها وراءنا
تختلط ببعضها ،
وتمحـــي ألوانها ؛
مثل سفينة غارقة تغوص شيئا فشيئا ،
تغوص شيئا فشيئا تحت الافق ،
موسكو البارزة بأطيافها فوق الشريط الأحمر للأفق .
أمامنا ، خلفنا وحولنا من كل الجهات سهول
سهول منبسطة ،
سهول لا أول لها ولا آخر . . .
وفجأة امتد رأسي فوق كتفي الى النافذة
رأس كومسومولية ذات شعر ذهبي وعينين زرقاوين . . .
صدرها يلامس ظهري لمسة صلبة ودافئة ،
ويصطدم بعيني ذيل غطائها المرتجف
مثل جناح طائر أحمر . . :
في أعماقي طعم الرغبة في أن أصبح عاشقاً
مثـــل طعـــم فاكهـــة طازجـــة حلاوتهـــا تمتـــزج بشيء من

الحموضة . . .
عجلات القطار تنقر سكة الحديد ،
أعمدة الهاتف تمر وهي تتهاوى . . .
وفوق الأرض الجارية بسرعة تحتنا
صفوف أضواء الزجاجات الصفراء المتلألئة . . .
نحـــن الآن قافلـــة من النـــور تمشي في حضـــن الأمسيات
البيضاء . . .

- ٣ -

« اليوم الثاني »
اليوم هو اليوم الثاني من رحلتنا ،
اقتربنا مسافة يوم آخر من الهدف ،
كلما اقتربنا من الهدف ، يخيّل لي
أن الطريق طويل ، والأيام طويلة . . .
المسافرون يقرأون أسماء بعضهم بصوت عال
كما لو كانوا يقرأون في كتاب مثير .
خلال يومين أصبحوا أصدقاء
كما لو كانوا يعرفون بعضهم منذ أربعين عاما .
قد يكون هذا بتأثير
السير على الطريق نفسه ،
ومشاهدة الأفق نفسه
مع شرب الماء نفسه . . .

غير أن هذه الصداقة ،

شأنها شأن كل علاقة رفاقية ، قديرة على البقاء :
إلى لحظة افتراق الطرق . . .

مثل نصل السكين ندخل ونخرج
الى غابات الصنوبر ومنها ،

قمصاننا تفوح برائحة صمغ الاشجار ،
نعم صمغ الاشجار . . .

الحقول تجري على الجانبين
والأمواه مثل نهر ذهبي مفعم بالنور ،
وبين الحين والآخر ترتفع في هذه المياه الذهبية
صروح المعامل مثل مدن فريدة .

- ٤ -

نمر بقرى سقوفها قش،جدرانها بيضاء .
ونشرب حليباً مغلياً في الأواني الفخارية .
تلاحقنا أسراب أطفال القرية متصايحين :
« داي غازيت ! داي غازيت!داي ! . . . »
هذا الصوت لا يتوسل ، بل يأمرنا :
« داي غازيت ! داي ! . . . »
انه صوت الفلاح الروسي
الذي علق صورة لينين

مكان ايقونة المسيح !
هذا الصوت هو صوت جثة العملاق صاحب الشعر الأشقر
والعينين الزرقاوين
ذلك الذي قام من موته وراح يتنفس فوق الأراضي
السوداء ! . . .
هذا هو اليوم الثاني من رحلتنا
اقتربنا من الهدف مسافة يوم آخر . .
أن الأيام استطالت ، والطرق أضحت بعيدة . . .
« اليوم الثالث »
اليوم نحن مارون بالقرب من :
الدونباس المتلألىء مثل أحد أبطال الملاكمة الزنوج
في الشمس المحرقة !
الثياب السوداء في الدونباس ليست علامات حداد !
أكوام الفحم عن يميننا ، أكوام الفحم عن الشمال
أكوام الفحم أمامنا وخلفنا .
عيوننا تكحلت بغبار الفحم ! . . .
شاهدنا مدينة روستوف عاصمة الفحم ،
قفزنا من فوق نهر الدون على الجسور المعلقة ،
نحن الآن في القفقاس الشمالي ! . . .
قوزاقيو كوبان يحصدون الزرع بالجرارات .
وعلى ظهور الجرارات يشربون الـ« ساماغونكا » . . .
-٥-
« اليوم الرابع »

اليوم هو اليوم الأخير للرحلة ، نعم الأخير .
خلال هذه الايام الأربعة
امتلات العربة وشغرت عدة مرات ،
وما أكثر المسافرين الذين تركناهم على الطريق !
وما أكثر ما تابعنا المغادرين بنظراتنا الباسمة !
حل المسافرون الجدد محل المسافرين الذين تركونا . . .
عربتنا اليوم ملأى
بالفلاحين القفقاسيين
الذين يبرّمون شواربهم السوداء الكثيفة بأصابعهم الدقيقة
جالسين تحت قلابقهم الكبيرة والمصنوعة من فراء الخراف
مثل تماثيل نُحتت من الأخشاب المحروقة ! . . .
ينظرون بأطراف عيونهم عبر النوافذ ؛
وكأنهم يريدون قياس الطريق الذي نطوي . . .
بعيداً ،
في الخلاء ،
تعلو القمة ، المعممة بالغيوم لجبل قاربك المغطى بالثلج !
أكوام الزرع المحصود في الحقول المملوءة بالأشجار .
الأفراس الممشوقة النحيلة تشم المروج .
سهول القفقاس مثل سجادة حريرية
مزركشة بسائر تدرجات اللون الأخضر . . .
مررنا بجانب سلاسل عربات النفط الطويلة الطويلة ،
وشربنا من الامواه المعكورة في محطات داغستان .
حر ، حر ، حر !

بحر الخزر ذاب مثل الرصاص في الأفق الرملي !
حر ، حر ، حر !
الشرارات ، البيضاء تحرق عيوننا !

ـ ٦ ـ

« الليلة الرابعة والأخيرة »
توقف القطار بصورة مفاجئة
في وسط الظلام .
نزلت ومشيت فوق الرمل
الحار
والناعم ،
مددت أعضاء جسمي
المخدرة من طول الجلوس . . .
صفحة السماء مثل نومة مملوءة بالأحلام زاهية الألوان ،
مثل مياه مفعمة بأنوار ثابتة ، مثل مياه شديدة الزرقة ،
فلأغط في نوم عميق تحت النجوم !
ومع تعالي رائحة نفط زيتية
فوق الرمال ،
يتطاير هذا النعاس الصيفي
من عيني !
« ـ لماذا توقفنا ؟
ـ ماذا ننتظر ؟
ـ ننتظر بريد باكو الآتي من الجهة المقابلة . . . »

وفجأة
اشتعلت الظلمات من أذيالها
مثل قماش من الحرير الأسود .
احمّرت الرمال .
اشتعلت النار بالسكك .
القطار القادم من الجهة المقابلة
مرّ مخلفا كتلا من النار في الهواء
نفثها من خرطومه الاحمر المكحّل . . .
أفعى ظهرها يتلألأ
مرت زاحفة فوق الرمال وهي تصدر أصوات الفحيح . . .
« ـ كم الساعة ؟
ـ الثامنة !
ـ نحن في باكو بعد ثلاث ساعات !
ـ لا بل بعد ساعة واحدة ! . . . »
ليتنا نستطيع تركيب الأجنحة على الساعات ! . . .

ـ ٧ ـ

الوصول

أتينا ! . . .
هذا القطار الطويل
الذي نقلنا الى النفط ،
حارقاً النفط في جوفه

قطع طريق الأربعة أشهر في أربعة أيام . . .
أتينا ! . . .
أنا ازاء باكو المتقدة المتلألئة
مسحور كما لو كنت اشاهد جبلاً شاهقاً
من اسفل ذلك الجبل ،
مسحور كما لو كنت أمشي وحيداً تحت النجوم .
في أعماقي رغبة جامحة
في أن أعدو دون توقف ،
أن أتحدث بصوت مرتفع ،
أن أهتف بأعلى صوتي ! . . .
أرغب في أن أعب من النفط وأشربه مثل خمرة سوداء
وأنا أتبادل القبلات مع العمال
ذوي العيون السوداء والسترات الملوثة بالزيت ،
نائما وجها لوجه فوق أرض باكو المقدسة !

جواب النفط

ليلة جنوبية
دافئة
ومضيئة . . .
في الأجواء تتلألأ الثريات البلورية المنورة . . .
في الأجواء
تتأرجح عناقيد العنب الشفافة
كل حبة فيها مضاءة من داخلها . . .

خطوة ، خطوة
أتجول
بين ثنايا تجاعيد النفط .
هذه الأهرامات
السوداء ، الحادة والدقيقة
تخترقني بعيونها المفعمة بالنور . . . .
أنا في مدينة يقطن العمالقة في بيوتها ،
نحن استدعينا من باطن الأرض عمالقة هذه المدينة ،
وبأيدينا نحن شدنا بيوت العمالقة . . .
والآن ، فيما العمالقة
نائمون
في مستنقعاتها العميقة ،

أتجول أنا
في جميع شوارع هذه المدينة
فقد أتيت لأقرع أبوابها جميعاً . . .
لدي سؤال الى النفط .
أريد أن أحصل على الجواب .
اسمع أيها النفط !
اسمعني من تحت طبقات الارض السبع :
ـ أنت تعرف أننا
بعرق جباهنا ،
وبالعينين الخالدتين

لمعلمنا المتوفّى ،
نريد أن نبني عالماً جديداً
نريد منك ان تغذي بدمائك
الشبيهة بمنبع الخصوبة
عرائس عزيمتنا المتسلقة جبال الحديد
ذات الأغصان الخضراء والزرقاء . . .
نريد لمصابيح القرى السيبيرية البعيدة
أن تشتعل في الليالي المثلجة بدمائك مثل الزنابق الحمراء .
نريد لدمائك أن تجري مثل إكسير الشباب
في عروق المئة والخمسين مليوناً !
نريد أن نسمع ألحان السلام
المنبعثة من ينابيعك !
نريد أن نربت عليك فوق ركبنا
مثل خصلات الشعر السوداء المتقدة للفتيات الاذربيجانيات
نريد ، نعم نريد . . .
ولكن
إذا ما امتدت حراب العدو مخترقة آفاقك
وإذا ما سقطت خلال البوارج الزيتية
في البحار التي تسبح في أمواهها الأسماك الذهبية ،
وإذا ما سُمع فوق مدنك هدير أصوات
الطيور الفولاذية القاتلة وعلى أجنحتها صورة العلم
الانجليزي ،
وإذا ما غرقت الحقول

في ظلمة
شديدة البياض
بين سحب دخان
الغاز السام ،
وإذا ما جمع اللورد الانجليزي
تحت رايته أهل الصليب مثلما فعل الراهب المجنون في القرون الوسطى ،
وإذا ما سالت الدماء ،
ماذا إذا حصل كل ذلك ؟
تكلم أيها النفط ؟
ما هو جوابك ؟
هل أنت مستعد لأن تذرف دمك
لحماية الوطن الاشتراكي ؟
فجأة
جاء رد النفط من بيوت العمالقة .
اهتزت الأرض من مكانها
ـ بلى ، أنا جاهز
أنا لسان النفط ـ أنا لسان القوة ! . . .

موسكو ـ باكو ـ ١٩٢٧

ساكو وفانزتي

ـ المقدمة ـ

تتدحرج القطرات كبيرة حارّة .
على وجناتنا النحاسية !
تتدحرج القطرات كبيرة متقدة
نحو قلوبنا !
قلوبنا : ضاقت بعد الآن !
معاً وبصوت واحد
نصرخ في الشوارع
فقد بتروا منا
أغصاناً دامية !
نحن كالنمرة الأم
ترثى أفئدة صغارها
وقد ثقبت بخناجر ذات مقابض سوداء
نحن كالنمرة الأم
تشيع جنائز فلذات أكبادها
ذوات الرؤوس الذهبية بالأسنان
على الجبهة الصفراء ذات العينين الحمراوين للحقد
وضعنا اكليلاً مطرزاً بالورود البيضاء كرمى للحب !
نرى الكون وقد اصطبغ بلون الدم

تتدحرج القطرات الكبيرة الساخنة
فوق وجناتنا النحاسية
نحو قلوبنا !

ـ القصة ـ

لم تكن بطاقة فرقتنا في حوزتهما .
كانا شابين تزينا بالشرف والطهر ،
حلما بامكانية طرق أبواب الحرية
بالهجمات الفردية الجريئة !
لم يكونا دليلين للملايين
ولا جنديين في جيش الثورة المنضبط !
كانا من جنود الثورة المجهولين
من الجنود الشرفاء للثورة
في دمائهما اتقد شوق جامح لشمس ايطاليا
اندفعا بجبهتين سمراوين طاهرتين تلبية لنداء الحياة ،
وقاتلا كتفاً إلى كتف مع اخوانهما المكافحين .
في غمرة العالم الجديد وقعا بين مخالب الظلم القديم !
تحديا الموت ضاحكين سبع سنوات
على الكرسي الكهربائي
جلسا وكأنهما يجلسان فوق الأرائك
المخملية الوثيرة

صمد قلباهما سبع دقائق في وجه تيار الأربع مئة فولت ،

احترق قلباهما ! . . .

احترقا لسبع دقائق ! . . .

لم يكونا من الجناة المجرمين ،

بل ضحية للاجرام ،

ضحية « العدالة » التي تتلقى أوامرها من الدولار .

ورغم أنهما لم يكونا دليلين للجماهير خلال حياتهما ،

فقد رفعا شأن الجماهير إلى أعلى عليين ،

يا لهذين الجنديين المجهولين من جنود الثورة !

العبرة المأخوذة من القصة ـ

البرجوازية :

قتلت اثنين منا نحن

إنهما من شهدائنا الخالدين !

البرجوازية :

دعتنا إلى النضال ؛

نحن موافقون على تلبية الدعوة !

فمثلما نعرف كيف نضحك معاً

نعرف كيف نعيش معاً

وكيف نموت معاً

كلنا من أجل واحد منا

واحدنا من أجلنا جميعاً !

موسكو / آب / ١٩٢٧

موسكو ـ طوكيو ـ موسكو

لحظة فتح رفيقان :
باب
طريق السماء
المقفل ؛
أحس المحرك
برائحة
الاجواء ؛
أقلع
ليس الطريق
في الجو منبسطاً !
على طريق الجو
منخفضات
ومرتفعات . .
في الأجواء
هناك طائر حمام
أجنحته من الألمنيوم
المحرك لنا والأجنحة لنا ،
الحياة الشابة

الجريئة
الجريئة جداً
للشابين اللذين تركا مصيرهما
للأجنحة

هي لنا ! . . .

الدخان . . . الدخان . . . الدخان
ليس الطريق
في الجو اخضر

على الدوام .
صفحة
السماء
سوداء .
اجنحة
الغيوم
تلتف
على الاجنحة !
صفحة السماء
لا ترى . . . لا ترى . . .
دخان . . . دخان . . . دخان . . .
دُرْ ايها المحرك

دُرْ أيها المحرك
دُر

دون توقف . . . دون توقف . . .
دخان . . . دخان . . . دخان . . .
أيدي رسل النور الضبابية الثقيلة
تسدل أجفان عيونك الدامعة من الألم . . .
وتسقط دموعها
مثل حجارة ثقيلة
في الأعماق :

أبارك المظلمة التي تحترق في قعرها المياه السوداء . . .
تبعث على النور فوق الأرض ، على البحر ، وفي الجبال
وليس كذلك في السماء . . .
دخان . . . دخان . . . دخان . . . .
دُرْ أيها المحرك
دُرْ أيها المحرك
دُرْ ،

دون توقف . . . دون توقف . . .
المحرك منا ، الجناح منا ،
الحياة الشابة
الجريئة

الجريئة جدا
للشابين اللذين تركا
مصيرهما للأجنحة
هي لنا .

النتيجة

موسكو
بعيدة ، بعيدة جداً
عن طوكيو ! . . .
وما أبعد موسكو
عن تركيا !
ولكن انظر :
إلى الاختراع الذي
ولد قبل عشر سنوات :

لقد جعلنا طوكيو لا تبعد الا ثلاثة أيام ! . . .

١٩٢٧

رسالة مفتوحة الى مكسيم غوركي

« إن لينين في نظري . . . . . شأنه شأن بطرس الأكبر ولومونوسوف وغيرهما ممن ولدوا بشكل عابر في التاريخ

الروسي هو واحد من الأشخاص الذين كانت أسماؤهم تبعث على الرهبة ، وفيها شيء من الاسطورة . . . إن لينين بالنسبة لي بطل اسطوري . . .

. . . . إن لينين محاط بالكلمات من الخارج مثل السمك المغلف بالحراشف تماماً . . . فيما كان لينين يستمع الى احدى سوناتات بتهوفن ذات مساء في بيت السيدة بشكوفا بموسكو . .

. . . علّق صيادو السمك في كابري أهمية فائقة على لينين . . . »

(مقتبسة من مقالة بعنوان « انسان » نقلها برهان آصف في العدد ٢١ المؤرخ في ١٨ شباط ١٩٢٥ من مجلة (الثقافة : آيدنلك لمكسيم غوركي) .

لا :

لا ، يا مكسيم غوركي !

لا ، أيها المعلم الطاعن في السن ،

لسنا متفقين

حول هذا الرأي ! . . .

لينين

بنظرك

أنت ،

شهيد قميصه الأبيض المطلخ بالدم

وروحه مصلوبة على صليب العذاب الحاد ،

تنبعث حية بين الحين والآخر .
« هو مغطى بالكلمات
مثلما فرخ السمك المغطى بالحراشف ! »
أنت !
تراه احيانا
على واحدة من صفحات انجيل كُتِب باليد ،
واحيانافيمـن يتجولون منتعلـين الجزمـات الحمـراء المزركشـة بالأصفر
خلف آفاق الأمسيات الأورالية ! . . .
أحيانا يكون لينين
في كلماتك :
ذا عينين زرقاوين واسعتين
ووجه مستطيل
مثل
أحد الأنبياء !
وأحيانا أخرى يكون :
ذا عنق هائل
نحيفاً وعادلاً ! . . .
لا !
لا ، يا مكسيم غوركي
لا ، أيها المعلم الطاعن في السن ،
لسنا متفقين
حول هذا الرأي ! . . .

نحن نعرف :
استمعتما معا في بيت بشكوفا
الى سوناتات بتهوفن !
أحس لينين
في أعماقه
بالأجنحة الندية
للألحان المتدفقة !

نحن نعرف :
كنتما معاً
على شواطىء كابري !
اصطدتما السمك معاً بصنانير دون قصب .
على صفحة تلك الامواه
الزرقاء مثل وجه السماء ،
الشفافة مثل وجه السماء !
نحن نعرف
انك تحب
لينين
نعم نعرف !
نحن نعرف ذلك ، ايها المعلم الطاعن في السن !
ونحن متفقون ايضا
بهذا الخصوص !
لكن

أنْ تحب

لا يعني

ان تفهم !

بين الاحساس والادراك

هناك جسر

طويل طويل

يقيمه الوعي .

أنت ايضاً احببته ،

احسست به ،

ولكنك أخفقت في فهمه !

مات ،

وبكيت ولكنك

لم تبك مثلنا !

فأنت لم تفهمه !

لم تفهمه !

لم تفهمه ! . . .

أن تفهم لينين يعني

أن تفهم الثورة مثل لينين !

أنت لم تفهم الثورة ! . . .

دعك أنت !

يا مكسيم غوركي ، تخلَّ عن هذا الامر !

وليتحدث عنه اولئك الذين
احبوه عبر فهمه ! . . .
دعك أنت !
وليصغ صيادو السمك بكابري
الى حديثنا نحن عنه ! . . .
موسكو ١٩٢٧

الشوق

أريد أن اعود الى البحر !
أريد أن استعرض نفسي
في مرايا الامواه الزرقاء !
أريد أن اعود الى البحر !
السفن ترحل الى الافاق المضيئة ، السفن ترحل !
أشرعتها البيضاء المشدودة
ليست قابلة لأن تمتلىء بالحزن .
لا شك أن عمري يكفي ولو ليوم واحد أناوبه في السفن .
وطالما ان الموت محتوم في يوم من الأيام :
أريد أن انطفىء في المياه
مثل مصباح يغوص فيها !

أريد أن أعود الى البحر !
أريد أن أعود الى البحر !

١٩٢٧

الفهرس

الثمن ٧٠٠ ق. ل.